الإدارة البريطانية في الشطرة 1918- 1920

الدكتور شاكر حسين دمدوم الشطري

جامعة ذي قار – كلية الآداب

الملخص

يتناول هذا البحث الإدارة البريطانية في الشطرة 1918- 1920، الذي يُعَد أحد الجوانب البارزة في التاريخ المعاصر لهذه المدينة. وان تحديد الإطار الزمني لهذه الحقبة التاريخية بدءاً من العام 1918 وهو بداية السيطرة المباشرة للبريطانيين على الشطرة، بينما يشكل العام 1920 هو اندلاع الانتفاضة الشعبية المسلحة عام 1920 ضد الاحتلال البريطاني. ويتألف هذا البحث من مقدمة تاريخية وثلاثة مباحث وخاتمة، تناول المبحث الأول الأوضاع الإدارية والسياسية في الشطرة بعد خروج العثمانيين عام 1917. أما المبحث الثاني فخصص عن الإدارة البريطانية المباشرة للشطرة. بينما عالج المبحث الثالث التنظيمات الإدارية والأعمال العمرانية التي قام بها البريطانيون في الشطرة. وأعتمد هذا البحث على مصادر متنوعة، يأتي في مقدمتها الوثائق البريطانية غير المنشورة والمنشورة.

فقد واجه البريطانيون تركة إدارية عثمانية ثقيلة ومنهارة، فحاولوا إعادة تشكيلها بما يتوافق ومتطلبات أهدافهم العسكرية. فقد اتبع البريطانيون في بادئ الأمر، نهجاً إدارياً يتماشى وخبرتهم المعمول بها في الهند، ولتنفيذ تلك الإجراءات استقدم البريطانيون عدداً من السياسيين الإداريين، مع انهم حاولوا استقطاب العناصر الإدارية المحلية، إذ إنهم حصروا تلك المناصب الإدارية الأساسية لهم وتركوا للعناصر المحلية تلك المناصب الثانوية.

British administration in Shatrah 1918- 1920

Dr. Shaker Hussein Damdoom Al- Shatri

College of Arts University of Thi-Qar

Abstract

This research deals with the British administration in Shatrah 1918-1920, which is one of the salient aspects of the contemporary history of this city. And to determine the time frame for this historical era, starting from

1918, which is the beginning of the direct control of the British Shatrah, while it is a 1920 outbreak of armed popular uprising in 1920 against British occupation. This research consists of historical introduction and epilogue, and three sections, the first section dealt with administrative and political situations in Shatrah after the departure of the Ottomans in 1917. The second topic for the British administration of direct Shatrah. While the third section dealt with administrative regulations and business by the British. This research and rely on a variety of sources, comes in the forefront of British documents published and unpublished.

Has faced the British legacy of Ottoman administrative heavy and collapsing, they tried to remodel, consistent with the requirements of their military objectives. Has followed the British Initially, management approach is consistent and expertise in place in India, but the implementation of those actions brought British number of politicians administrators, although they tried to attract elements of the local administrative, since they are confined those administrative positions essential to them and to the elements of the local those positions secondary.

المقدمة:

تناولت الدراسات والبحوث التي أنجزها المؤرخون والباحثون، جوانب كثيرة من تأريخ العراق الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في فترة الاحتلال البريطاني، وبالرغم من ذلك فأن المجال ما يزال متاحاً لدراسة موضوعات عديدة تتصل بتلك الحقبة التاريخية، ومن بينها بحثنا (الإدارة البريطانية في الشطرة 1918- 1920). إذ تحتاج المدن العراقية إلى دراسات تأريخية بأقلام متخصصة قادرة على تقديم المعلومات التأريخية بدقة وتحليلها بموضوعية، فقد انبرى بعض الباحثين للتصدي لهذا الموضوع أمثال الدكتور علي ناصر حسين الذي تناول موضوع الإدارة البريطانية بشكل عام، بينما افرد الدكتور أسامه عبد الرحمن الدوري موضوعات متعددة عن الإدارة البريطانية لبعض المدن العراقية. ولما كان تأريخ الشطرة، يؤلف ركناً أساسياً من تأريخ العراق الحديث والمعاصر، بوصفه منفذاً مهما لتقصي السياسة التي انتهجها البريطانيون في هذه المنطقة، على ان قسماً من الدراسات التأريخية تناولت جوانب عامة لم تركز على تفاصيل الجوانب الإدارية المهمة التي حصلت في هذه المنطقة، لذا بقيت

الحاجة ماسة إلى دراسات جديدة من تأريخ العراق الحديث والمعاصر تركز على التأريخ المحلي وتفصيلاته خلال تلك المرحلة التأريخية، لذا جاءت دراسة هذا البحث لتسد جزءاً من هذا النقص.

إذ يكتسب موضوع النظام الإداري أهمية خاصة، فهو أحد ابرز جوانب التطور السياسي والدستوري. كما أن حيوية الموضوع وأهميته في الوقت الحاضر والمستقبل، هي التي جعلت الباحث يلجأ الى البحث فيه، وعلى الرغم من الصعوبات التي واجهته في التفتيش عن المادة والحصول عليها، لاسيما الوثائق المحفوظة في قسم الوثائق التابع لدار الكتب والوثائق في بغداد.

أن موضوع الإدارة البريطانية في الشطرة 1918- 1920 يُعَد أحد الجوانب البارزة في التاريخ المعاصر لهذه المدينة.

كما ان تحديد الإطار الزمني لهذه الحقبة التاريخية بدءاً من العام 1918،هو بداية السيطرة المباشرة للبريطانيين على الشطرة، بينما يشكل العام 1920 هو اندلاع الانتفاضة الشعبية المسلحة عام 1920 ضد الاحتلال البريطاني. ويتألف هذا البحث من ثلاثة مباحث اساسية وخاتمة، تناول المبحث الأول الأوضاع الإدارية والسياسية في الشطرة بعد خروج العثمانيين عام 1917. اما المبحث الثاني فخصص عن الإدارة البريطانية المباشرة للشطرة. بينما عالج المبحث الثالث التنظيمات الإدارية والأعمال العمرانية التي قام بها البريطانيون في الشطرة.

أعتمد هذا البحث على مصادر متنوعة، يأتي في مقدمتها الوثائق البريطانية غير المنشورة المحفوظة في دار الكتب والوثائق والتي تضم وثائق البلاط الملكي ووثائق الاحتلال البريطاني للعراق، وملفات وزارة الداخلية، ووثائق وزارة الخارجية البريطانية. وكذلك اعتمد هذا البحث بشكل أساسي على الوثائق البريطانية المنشورة لعام 1918 والمعنونة

(Reports of Administration for 1918 of Division and Districts of the Occupied Territories in Mesopotamia ",Vol. I.)

وقد احتوت هذه الوثائق على معلومات قيمة ومهمة أفادت هذا البحث.

وقد أدت الكتب الأجنبية المعربة وغير المعربة دوراً مهماً في رفد البحث بالمعلومات التاريخية والوثائقية، سيما أن قسما من مؤلفيها عاشوا في تلك المرحلة بوصفهم مسؤولين بارزين في الإدارة البريطانية، ولا يمكن لأي باحث في تاريخ العراق الحديث والمعاصر أن يستغني عنها، مثل كتاب برترام توماس (Alarms and Excursions in Arabia) الذي حكم الشطرة مرتين خلال مدة البحث،

وغيرترود لوثيان بيل (فصول من تاريخ العراق القريب)، وفيليب ويلارد أيرلاند (العراق دراسة في تطوره السياسي)، وكتاب ارنولد ويلسون(بلاد مابين النهرين بين ولائين)، واعتمد البحث على الأطاريح والرسائل الجامعية، منها اطروحة الدكتور علي ناصر حسين المعنونة (الإدارة البريطانية في العراق 1914- 1921) وهي من أفضل الدراسات الأكاديمية التي كتبت عن الإدارة البريطانية في العراق، ورسالة الأستاذ عبدالعال وحيد العيساوي المعنونة (لواء المنتفق1914-1921). فضلاً عن مخطوطة (الشطرة في الاحتلالين) لحسين الشعرباف المحفوظة لدى الباحث،وكذلك بعض الدوريات، والمقابلات الشخصية لبعض اهالي الشطرة، ممن عاصروا أو تابعوا أحداث تلك المرحلة التاريخية، وهذا يضفي بعداً خاصاً على معالجة الحدث وتأطيره بعد ان أغفلت المصادر ذكره.

الإدارة البريطانية في الشطرة 1918- 1920:

شجعت الانتصارات العسكرية التي حققتها القوات البريطانية على القوات العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى، خاصةً بعد سقوط بغداد بيد الجنرال مود في 11 آذار 1917، القادة البريطانيين بأن يفرضوا سيطرتهم بشكل تام على المناطق التي احتلتها،او المناطق التي لم تحتلها، لكنها سقطت بأيديهم من الناحية الشكلية، ومن ابرز تلك المناطق هي مدينة الشطرة. ولابد من تسليط الضوء على الأوضاع الإدارية والسياسية للشطرة من خلال عرض التطورات التالية:

المبحث الأول:الأوضاع الإدارية والسياسية في الشطرة بعد خروج العثمانيين عام 1917:

أولاً: الخلافات العشائرية بعد تعيين حسن آل جاسم حاكماً لمدينة الشطرة:

لقد استغلت الإدارة البريطانية المحتلة، الكراهية والخصوصيات التقليدية بين العشائر وبين الفروع والأفخاذ في كل عشيرة (ضرب الواحدة بالأخرى) حتى تحتفظ بميزان القوى بيدها في مدينة الشطرة. وعلى هذا الأساس وجد البريطانيون، إن سياسة تعيين الشيوخ بوظيفة مدير على منطقة او وكيل حكومي[1]، هي السياسة المنطقية التي يمكن بواسطتها معالجة الأوضاع الإدارية المضطربة في المنطقة مستفيدين من تجاربهم السابقة في منطقة القرنة[2]. ويذكر برترام

([1]) ارنولد تالبوت ويلسون، بلاد ما بين النهرين بين ولائين، ترجمة فؤاد جميل،ج2،بغداد، 1971، ص122.

([2]) علي ناصر حسين، الإدارة البريطانية في العراق 1914-1921، اطروحة دكتوراه غير منشورة قدمت الى جامعة بغداد , كلية الآداب، تشرين الأول 1991، ص110.

توماس[3](Bertram.S.Thomas) بهذا الصدد " ان كل القادة (يقصد شيوخ العشائر) جاءوا بعد سقوط بغداد وقالوا كلمتهم إلا الشيخ خيون آل عبيد فقد بقيَّ عنيداً "[4]. وهرع سراكيل العبودة ورؤساء أفخاذها إلى الناصرية لتقديم الولاء للحكام الجدد وكل منهم يمني نفسه بمشيخة العبوده وحاكمية الشطرة[5]. فاختير من بينهم حسن آل جاسم[6] احد رؤساء عشيرة آلبو شمخي

([3]) برترام. أس.توماس: ولد في عام 1892 كان فارساً في الحرس الوطني لشمال سومر سيت في الفلاندرز عام 1914. يُعَدْ أحد الساسة والدبلوماسيين البريطانيين الذين خدموا في المشرق العربي، إذ عمل لمدة ثلاث عشرة سنة في السلك الدبلوماسي في العراق والأردن والخليج، وفي تشرين الأول من عام 1910 وصل إلى مسقط في عهد السلطان فيصل بن تركي (1888 – 1913)، وأقام في الجزيرة العربية بشكل متكرر منذ عام 1915. ثم نقل إلى العراق خلال الحرب العالمية الأولى. وكان أحد الضباط البريطانيين الشباب الذين عينتهم الإدارة البريطانية في العراق وأعطتهم مقاليد وصلاحيات في مناطق واسعة. وشغل منصب مساعد الضابط السياسي في سوق الشيوخ في 6 آذار 1918، ونقل إلى الشطرة في 6 شباط 1919، وبعدها إلى بغداد في 6 شباط 1920 مساعداً ثانياً في سكرتارية الدخل الحكومي، ومنها أعيد إلى الشطرة ثانية في حزيران 1920، وبعد 30 حزيران 1920 أضيفت له قلعة سكر. وفي 27 آب 1921 ودع الشطرة. اشتغل في عدن واستطاع أن يعبر الربع الخالي في الجزيرة العربية برحلة موفقة دونها في كتابه "عبر الربع الخالي في بلاد العرب". وفي عام 1924 عينه السلطان تيمور بن فيصل (1913 – 1923) وزيراً للمالية ثم رئيساً للوزراء. توفيّ توماس في العاصمة المصرية القاهرة عام 1950. للمزيد من التفاصيل ينظر: مذكرات برترام توماس في العراق 1918-1920، ترجمة عبد الهادي فنجان، تقديم وتعليق كامل سلمان الجبوري، بغداد، 1986، ص20؛ Encyclopedia Britannica , Vol.23 ,P.189 ; ورحلات توماس المعنونة:

Bertram.S. Thomas , Alarms and Excursions in Arabia , New York, 1931.

([4]) مذكرات برترام توماس في العراق، ص114.

([5]) حسين الشعرباف، الشطرة في الاحتلالين، مذكرات الحاج حسين الشعرباف كتبها علي صائب الشعرباف (مخطوطة) محفوظة لدى الباحث، ص56.

([6]) احد شيوخ عشيرة آلبو شمخي وقتذاك، ولد في مدينة الشطرة. وكان ذو شجاعة ومن اهل الكرم والضيافة، قاتل الاتراك العثمانيين، واشترك في الحرب ضد البريطانيين في معارك الشعبية

وذلك في مايس عام 1917 لغرض تعينه حاكماً في الشطرة. علماً ان سلطات الاحتلال ألغت التشكيلات الإدارية العثمانية فلم يتعين أي متصرف أو قائممقام في كل إرجاء العراق وان تشكيلاتها الإدارية اقتصرت على الحكام السياسيين ومعاونيهم.

وذكر لي أبناء حسن آل جاسم، بأن المقدم هاول بعث ببرقية إلى ابيهما ونصت: " إلى الشيخ حسن آل محمد آل جاسم ان الحكومة البريطانية استدعتك إلى الناصرية وتعيينك قائممقاماً لقضاء الشطرة، وأهدتك ساعةً ذهبية بالنظر لما تقوم به من الأعمال في طريق الأمن والسلام. وفي نهاية البرقية توقيع المقدم هاول الحاكم السياسي في الناصرية "[7].

يبدو ان الحكومة البريطانية عندما عينت الشيخ حسن آل جاسم حاكماً أو رئيساً لبلدية الشطرة، أرادت بذلك ان تسد الفراغ السياسي في البلدة، لكون هذا الشيخ هو المنافس الوحيد للشيخ خيون آل عبيد من حيث الشخصية، ومن حيث القوة الإدارية التي يتمتع كل منهما، لاسيما وان الشيخ خيون كان وقتها لاجئاً في أم الدود – في أراضي بني ركاب –، ولذا فأنهم لم يفعلوا ذلك حباً بالشيخ حسن آل جاسم أو كرهاً بالشيخ خيون آل عبيد، بل من اجل خلق نزاع مستمر بين الطرفين لان كليهما كان متنفذاً في البلدة.

وتذكر مجلة دار السلام وهي تعكس وجهة نظر صاحب المقال المذكور فيها بهذا الخصوص: "بأن الرؤساء الثانويين كانوا على باب الحاكم السياسي في الناصرية وقد اظهر بعضهم انه قادر على تنظيم الشطرة وله من النفوذ ما يعينه على ذلك، وقد كانت الحقيقة بعيدة عنه وعن تبنيه وكان هذا الرجل – المقصود به حسن آل جاسم – واهناً لايقدر على انتزاع الشطرة من أيدي أهلها الحقيقيين وهم طائفة السناجر وخفي الأمر على الحاكم السياسي فعين ذلك المدعي لإدارة الشطرة فكان ذلك سبباً لإيقاد(الثورة) في المدينة واستعمال السلاح، فأخرج ذلك الرجل من المحلات الرسمية وبقي مهملا لا يقدر على شيء سوى انه وسع الخرق وأحدث المناوشات والاضطرابات، وهكذا بقيت الشطرة فارغة من الحكومة"[8]. لكن في حقيقة الأمر بأن

وباهيزة ومعركة البطنجة وكان في مقدمة أهالي الشطرة لقاتلهم في هذه المعارك. توفي في 21 رمضان 1342هـ الموافق 27 نيسان 1924، عن عمر يناهز الستين.

([7]) مقابلة شخصية مع الشيخ عليوي آل حسن بتاريخ 1988/8/30 ومع السيد حمود آل حسن بتاريخ 1988/10/5.

([8])"دار السلام" (مجلة)، العدد10، المجلد الرابع، الأحد 5 أيار 1921، ص 151.

حكم الشيخ حسن آل جاسم خلال المدة التي أمضاها في منصبه كان حكماً عادلاً في الشطرة، وكان إنساناً متواضعاً وذكياً لم يتقهقر أمام المصاعب التي واجهته خلال مدة حكمه.
لم تمض مدة طويلة على تعيين الشيخ حسن آل جاسم ممثلا لبريطانيا في البلدة[9]. حتى قامت بعض الاضطرابات والمعارك بين عشيرة آلبو شمخي وعشيرة السناجر, ويبدو أن السبب في ذلك يعود إلى تعيين الشيخ حسن آل جاسم ممثلا لبريطانيا في البلدة. مما أدى بدوره إلى إثارة حفيظة عشيرة السناجر التي قامت بدورها وشهرت سلاحها على عشيرة آلبو شمخي وتقاتلت العشيرتان في يوم 20 مايس 1917، فقد سقط من بينهم عشرة قتلى وعدد غير قليل من الجرحى. وتدخل رئيس عشيرة آل جهل الشيخ سويلم آل هواش (وهو من عشيرة العبودة) وسائر عشائر العبودة وتوقف القتال بعد ست ساعات من نشوبه. وعلى أثر ذلك اضطربت المدينة، لهذا الحادث وتقدم وفد من أهاليها شاكين تصرف الشيخ حسن الجاسم إلى الحاكم البريطاني، الذي أوفد بدوره رؤساء آل إبراهيم وآل ازيرج وخفاجة للتحقيق في الشكوى وبناءاً على توصيتهم عزل الشيخ حسن آل جاسم. وكان هذا العزل سببا لتصادم العشيرتين(السناجر وآلبو شمخي) مجدداً في معركة ثانية حدثت في 16 تموز 1917 , وقتل جمع غفير من الأهالي بإطلاق العيارات النارية بين الطرفين , ولم تنته هذه المعركة حتى قام الشيخ سويلم آل هواش بالتوسط بين الطرفين وإسكات النيران بينهما. ولاختلال الأمن في البلدة ظل الهلع والفزع مسيطراً على كبارهم وصغارهم فيسارعون لغلق محلاتهم من أية صرخة أو ركضة حتى وأن صدرت من طفل[10].
ثانياً: السيطرة الإدارية والسياسية للشيخ خيون آل عبيد على الشطرة:
بعد هاتين الحادثتين هرع أعيان السناجر وكبار بيوتها إلى الشيخ خيون في منفاه شارحين له ما أصابهم من ذلٍ وهوان بعد إبعاده منهم، متوسلين إليه التقرب للسلطة البريطانية والعودة إلى الشطرة. فلبى طلبهم ورجع إلى المدينة بعد أن كتب إلى حاكم الناصرية الجديد الرائد

([9]) يذكر لي الأستاذ الفاضل سيد مكي السيد جاسم بأن حسن آل جاسم عندما عينه البريطانيون بمكان الحاكم او وكيلا لهم ,أمر بتنظيف السراي وفي ضحى ذلك اليوم حدثت معركة شديدة بين عشيرتي السناجر وآلبو شمخي، ولم يبق في موقعه كحاكم على الشطرة حتى يوما واحدا. مقابلة شخصية مع السيد الفاضل بتاريخ 1988/11/11.
([10]) حسين الشعرباف، الشطرة في الاحتلالين، ص ص56-57.

)، معلناً طاعته وولائه للسلطات البريطانية، وأوضح لهم أن عودته إلى Dickson(ديكسون الشطرة إصلاحاً لقومه واستتبابا لأمن المنطقة[11].

ومن هنا نلاحظ أن الشيخ خيون رأى أن الواجب يحتم عليه الرجوع إلى البلدة لأنها اختلفت من بعده واضطربت، ورأى أن في إصلاحها عربوناً لاسترجاع صداقته مع الحكومة البريطانية وبقى يعمل في الإصلاح، حتى تسلم أزمة البلدة الحاكم السياسي الرائد ديكسون، واخذ على عهدته إصلاح الغراف إصلاحاً سلمياً، فطرق باب النجاح وسلك هذا الطريق واستعمل المتانة والتدبير السياسي في كل حركاته ومد للغرافيين يد المصافحة والسلام لا يد الضرب والخصام[12].

وقد وصفت أحد التقارير الحكومة استسلام وخضوع الشيخ خيون آل عبيد للحكومة البريطانية يعود إلى "أعمار الجسر المكسور أي استسلام عشيرة آل ازيرج، على الرغم من أن المجرى العام للأحداث يرجح ذلك كنتيجة طبيعية لاحتلالنا لمدينة بغداد , كما أن للسماوة علاقة بذلك أيضا. إذ أن الرجل ما أن سمع بالاحتلال القادم لذلك المكان حتى سارع بالانصياع لنا، لذلك فرضت عليه غرامة تقدر بحوالي (10) آلاف روبية من قبل الحاكم العسكري الذي قبل استسلامه". ومضى هذا التقرير القول بـ "أنه كان لاستسلام الشيخ خيون آل عبيد آثار بعيده للغاية فقد أصبحت الشطرة في متناول اليد وعشائر الغراف بما في ذلك بني سعيد والبدعة أكثر طواعية عدا (عبد الله عبد الكريم) و(بدر الرميض) بقيا خارج الشيوخ المعادين لنا، وأأمل ان يستسلما سريعا من دون قيد أو شرط حال سماعهما العفو الذي أصدره القائد العام في الآونة الأخيرة، الذي يقضي ان لا يخافا من الإرسال إلى معسكرات الاحتلال في الهند. وبلا شك إنهما وأمثالهما من الرجال ماكانا قد استسلما في أيام سلفي لو لم يصدر البيان الذي عدهما من الخارجين على القانون وتوعد بإرسالهما إلى الهند كأسرى حرب حال إلقاء القبض عليهما , وكان ذلك البيان حال صدوره يمثل تحركا حكيما من قبلنا وأن إلغاءه الآن يعد أكثر حكمه قدر تعلق الأمر بالهند في رأيي"[13].

لقد أيقنت عشيرة آلبو شمخي ان عشيرة السناجر تفوز بالرضي والسعادة عند الحكومة البريطانية, كما انها استنكرت استنكارا شديدا عودة الشيخ خيون آل عبيد. فوصلت الحالة إلى

([11]) المصدر نفسه ,ص57.

([12])"دار السلام" (مجلة)، العدد10، المجلد الرابع، الأحد 5 أيار 1921, ص151.

([13]) د.ك.و ,الوحدة الوثائقية , ملفات وزارة الداخلية، تسلسل الملفة: 32050/2099، موضوع الملفة: تقرير الإدارة، فتحت بتاريخ 1917/4/18 واغلقت بتاريخ 1917/12/31، و27،ص117، و27،ص118.

أشدها داخل المدينة عندما اغتالت عشيرة آلبو شمخي (كاظم آل علي أغا) الساعد الأيمن والصديق المخلص للشيخ خيون ووكيلا عنه في بعض أموره الإدارية، وذلك في 14 ذي الحجة سنة 1335 المصادف 30 أيلول 1917[14]

لقد وصف الكابتن هيسم (Haysom) في تقريره الذي رفعه إلى الإدارية الرئيسة في الناصرية هذه الحادثة بـ "أن عشيرة آلبو شمخي كانت تشغل القسم الشمالي من المدينة إلى وقت قريب جدا , ويُعَد هذا الفخذ من عشيرة العبودة وكراهيتهم شديدة للسناجر. ولعدة مرات حاول فخذ آلبو شمخي قتل الشيخ خيون , كما أن السناجر حاولوا التخلص من حسن آل جاسم شيخ أحد شيوخ عشيرة آلبو شمخي..... إن العداوة بين هذين الفخذين وصل إلى أقصاه في أيلول 1917. فقد قام فخذ البو شمخي بعقد اجتماع سري وقرروا بشكل نهائي تخليص الشطرة من خيون وسكرتيره الذكي كاظم العلي أغا. وتم اختيار ثلاثة رجال بطريقة القرعة إثنان منهم لقتل خيون وواحد لقتل كاظم. وكانت الخطة تتلخص بمحاولة رمي (كاظم العلي أغا) بالرصاص حال خروجه من السراي مساءاً. وفي الوقت نفسه يقوم الرجلان المخصصان لقتل خيون بالانتظار في الظلام خارج بيته , وقد كان متوقعا حسب الخطة أن يخرج خيون مسرعاً إلى الخارج حال سماعه بمقتل سكرتيره، إذ يقوم الرجلان برميه حتى الموت , وقد نجح القسم الأول من الخطة، فقتل كاظم رمياً بالرصاص , لكن خيون شك بوجود فخ وبقي في البيت لم يخرج، وأرسل إلى عشيرته (السناجر) ليقوموا بـ (الفزعة)"[15].

وعلى هذا الأساس تجمعت السناجر صباح اليوم التالي وزحفت على آلبو شمخي ثأراً لمقتل كاظم العلي أغا. وأشتد القتال بينهما وأستمر إلى الربع الأخير من الليل، فأستسلم آلبو شمخي بعد أن أحرقت بيوتهم وأكواخهم وقبلت بشروط السناجر في الجلاء عن الشطرة، ومنها بأن لا يدخلها مسلح منهم، ولا يدخلها أكثر من عشرين شخص منهم في اليوم الواحد، ولا يبقى احدهم فيها بعد غروب الشمس، فكان ذلك اليوم يوم عيد بين الشطريين؛ لاستتباب أمن منطقتهم[16].

وعلق الكابتن هيسم في تقريره على هذه الحادثة بـ "أن طرق الشيخ خيون كانت طرق دقيقة ومدروسة حيث قام بمداهمة بيوت سلمان وحسن الجاسم في منطقة آلبو شمخي ضمن

([14]) حسين الشعرباف، الشطرة في الاحتلالين, ص57.

([15])"Great British ,Reports of Administration for 1918 of Division and Districts of the Occupied Territories in Mesopotamia",Vol. I., Shatrah District Administration Report, 1918,PP.381-382.

([16]) حسين الشعرباف، الشطرة في الاحتلالين, ص ص57- 58.

الشطرة سائقا أمامه جميع الرجال والنساء والأطفال. وبعد ذلك قامت مجموعة من السناجر تتبع العملية الأولى وتقوم بنهب جميع البيوت وهدمها حتى القواعد وأن أطلال هذه البيوت لا تزال إلى الآن – أي في عام 1918- كشهادة مقنعة على قوة وغضب خيون , وبعد ذلك تم متابعة آلبو شمخي وسوقهم إلى منطقة شمال شرقي الشطرة، إذ تم محاصرتهم هناك, ومن ثم تم تهديم جميع قراهم إلى الشمال من الشطرة بحيث لم يترك كوخ واحد واقف على أرضه , وقد استطاع شخص من عشيرة آلبو شمخي من الهرب إلى الناصرية , ولم يرجع خيون إلى الشطرة حتى وردت الأوامر من الضابط السياسي هناك , وقد تم إنهاء مسألة(الفصل) العشائري في هذه المسألة. لكن لم يستطيع آلبو شمخي التحرك بحرية داخل وخارج الشطرة الا بعد وصولي اليها، ولم يتمكن حسن الجاسم من القدوم إلى الشطرة واعتبار الحالة هنالك آمنة حتى بداية أيلول الماضي"[17].

لم ينل آلبو شمخي ما أملوه فأن الرائد ديكسون بتفرسه السياسي عرف الغرض ورجع إلى تنفيذ خطته، فأستجلب الشيخ خيون إلى الناصرية،وأظهر له رضا الحكومة عنه وأشار عليه ببعض الإفادات الإدارية اللازمة للبلدة[18].

بـ " أنه قائد القبائل في هذه الأحداث وهو ويذكر توماس عن شخصية الشيخ خيون مايلي ذو شخصية قوية ومؤثرة وذو سلطة مطلقة , كان رجلا ذا ثروة خيالية وجباراً في المعارك , لقد سيطر على كل النهر لمدة خمسة عشر عاماً، وكان كالشوكة في جسم الأتراك ونحن أيضا"[19].

كما يذكر لي أحد ثقاة البلدة أن السبب الذي جعل البريطانيين يفكرون بعودة خيون إلى المدينة هو أن أحد التجار دخل إلى البلدة ليشتري عدد من الخيول , فسأل عن موقع بيع الخيول فأخذه بعض المفسدين في البلدة وأدخلوه في أحد البيوت وضربوه، وأخذوا جميع الأموال التي كانت بحوزته، وأخذ يشتكي الناس ماجرى له من عمل كهذا, لكن بعض الخيرين في البلدة أرشدوه أن يذهب إلى الشيخ خيون الذي كان في تلك المدة لاجئاً في أم الدود , وعرض عليه ما أصابه فعلى أثر ذلك رجع خيون إلى الشطرة ونادى على كل المفسدين في البلدة واستطاع أن يكشف الأشخاص الذين سلبوا ذلك التاجر وحفر لهم الشيخ خيون حفرة ودفنهم إلى مستوى الرقبة وأمرهم بإرجاع المال إلى صاحبه , فعلى أثر ذلك أخذ الرجل ماله وذهب إلى الحاكم

([17])"Reports of Administration for 1918", Vol. I,PP.381-382.

([18])"دار السلام" (مجلة)، العدد10، المجلد الرابع، الأحد 5 أيار 1921, ص 152.

([19]) مذكرات برترام توماس في العراق ,ص114.

البريطاني في الناصرية يشرح له ما حدث له، وما قام به خيون من موقف مشرف إلى جانبه[20]. وبذلك أصبحت الحالة هادئة في مدينة الشطرة بعد أن سيطرت عشيرة السناجر على المدينة بأكملها , وخروج عشيرة آلبوشمخي من البلدة، التي بدورها سكنت أراضي الجاسمية.

وفي ضوء ذلك كله نستنتج وخاصة فيما يتعلق بموقف الشيخ خيون وتغيير وجهة نظره من جانب البريطانيين بعد أن كان عدوهم اللدود, إذ يرجع ذلك إلى عدد من الأسباب منها:

1- خضوع الشيخ خيون آل عبيد للأمر الواقع.

2- بغض الشيخ خيون للعثمانيين بعد وده اليهم وقتاله معهم في الشعيبة , إذ صدرت منهم أعمال تستدعي هذا البغض والإكراه لهم, خاصة بعد استباحتهم للحلة والكوت في عام 1916, وقيامهم بأعمال تنافي الأخلاق ولا يقره الإسلام.

3- كانت النزعة الدينية تفرض على الشيخ خيون طاعة العثمانيين، ولما انهارت قواهم أمام بريطانيا, كان شأن بعض العراقيين الآخرين بالتخلي عنهم وخاصة بعد سماعه بالحركة المسلحة التي انطلقت في الحجاز ضد العثمانيين بقيادة الشريف حسين بن علي عام 1916.

أما بالنسبة إلى مستقبل مدينة الشطرة فقد أورد ديكسون الحاكم البريطاني للمنتفق في رسالة مقترحا بها إلى المفوض المدني في بغداد بـ "أنه من المستحسن أن يفوض خيون كامل الصلاحيات لإدارة المدينة حال تمكننا من إرسال حاكم سياسي إلى الشطرة كما هو الحال في الخميسية التي يديرها الشيخ حميد الخميس، ويجب ان يدفع لخيون (500) روبية كمرتب ويزّود بـ(39) من الخيالة من سوارية الحاكم السياسي في الناصرية يبدلون كل خمسة عشر يوم"[21]

تمكنت السلطات البريطانية من ملء الفراغ الإداري في منطقة المنتفق بعد ظروف ناجحة سابقا عن استقلال الشطرة ذات الاسم(الشرير) بالنسبة للإدارة البريطانية، وكذلك طبيعة العشائر المحيطة بها[22].

([20]) مقابلة شخصية مع الأستاذ الفاضل مكي السيد جاسم بتاريخ 1988/11/11.

([21])د.ك.و ,الوحدة الوثائقية , ملفات وزارة الداخلية، تسلسل الملفة: 32050/2099، موضوع الملفة: تقرير الإدارة، فتحت بتاريخ 1917/4/18 واغلقت بتاريخ 1917/12/31، و27 ,ص118.

([22]) المصدر نفسه.

كما يمكن القول بأنه كان لتسلّم الشيخ خيون آل عبيد إدارة وحكم الشطرة نتائج من وجهة نظر الإدارة البريطانية , فالشطرة والقبائل المحيطة بها كانت تعد بالنسبة للبريطانيين (بغداد الصغيرة) وتمثل مع سوق الشيوخ اهم عاصمتين في منطقة المنتفق.ولم تكن الناصرية سوى "عاصمة اصطناعية ذات موقع سيء جدا"[23]. وأن السيطرة على الشطرة كانت تعني سيطرة البريطانيين على المخازن الأساسية للحبوب في العراق[24].

وقد استغلت السلطات البريطانية خضوع الشيخ خيون آل عبيد ورغبته في التفاهم والتعاون معها بعد ان فقد الأمل بعودة العثمانيين , بحيث أصبح واضحا له بأن الاحتلال البريطاني حقيقة واقعة , لذلك سارع حاكم الناصرية السياسي الرائد ديكسون إلى زيارة ربوع الغراف والشطرة وكان ذلك في العاشر من آذار عام 1918، وصادف كل الحفاوة والاحترام المبرهن على الطاعة الحقيقية , والتقى في حينها بالشيخ خيون آل عبيد الذي استجاب لطلب ديكسون بتعيينه ممثلا لبريطانيا في الشطرة[25]. وبراتب شهري كبير مع وعود بمنحه أفضل المقاطعات الزراعية في منطقته , لذلك بلغت مساحة الأراضي التي يمتلكها الصالحة لزراعة الشلب تقدر بـ(1500) فدان ويمتلك أيضا (100) جمل وعشرة خيول عربية أصيلة[26].

وقبل هذه الزيارة التي قام بها الرائد ديكسون لم تكن هناك سيطرة إدارية حقيقية على أي من العشائر في هذه المنطقة. ولقد كانت هناك محاولة سابقة لتعيين (حسن الجاسم) كممثل بريطاني في الشطرة، لكن هذه المحاولة أثبتت فشلها والسبب الوحيد في ذلك يعود إلى أن(حسن) ليس لديه أي تأثير عملي في الأمور العشائرية والإدارية حسب رأي التقرير البريطاني الذي كتبه هيسم , إن الحكمة في هذه الخطوة واضحة, اذ أن الشيخ خيون ببساطة هو الرجل الأقوى والأكثر تأثير في هذه المنطقة، ولقد كان سابقا بمنصب القائممقام التركي للشطرة في وقتين مختلفين, وقد اعترف هيسم في تقريره بشخصية خيون آل عبيد من خلال " كونه مكروها بشدة ومرهوب الجانب بشكل لايوصف فأنه حكم الشطرة بيد من حديد , إن استقرار الحياة العملية والمهنية

([23]) المصدر نفسه ,و27,ص 119.

([24]) علي ناصر حسين، المصدر السابق، ص112.

([25])"دار السلام" (مجلة)، العدد10، المجلد الرابع، الأحد 5 أيار 1921, ص152.

([26])C.O. 730 - 150/68568 X/M / 8633 , Notes one the Tribes and Shaikhs of Shatrah District, by Captain C.S.J. Berkeley,14th December 1919 ,P.5.

العشائرية للشطرة في الأربع سنوات الأخيرة يعود الفضل فيه إلى قوة الشيخ خيون فقط , ولولا وجوده وحكمه لكان كل دكان وكل بيت في الشطرة قد نهب وهدم إلى أساسه"[27].

وبعد تعيين الشيخ خيون آل عبيد كممثل لبريطانيا في الشطرة عُدَ الوضع السياسي فيها غير مضمون من وجهة النظر البريطانية بـ " أن خيون كان مسيطراً ويَعُد نفسه أعلى سلطة , ويقوم يفرض ويجمع الضرائب التي يعتقد انها من حقه , وكان يحتفظ بعداوته الشديدة القاتلة مع المنطقة المجاورة لعشيرة العبودة"[28]. كما عينت الإدارة البريطانية الشيخ طاهر آل زيارة من قبائل الشطرة مديرا لناحية السويج[29].

وأبلغ الحاكم السياسي في الناصرية الشيخ خيون عندما أرسل البريطانيون رشدي المرهج مساعد المعاون السياسي لمفاوضة خيون للمجيء إلى الناصرية , كما أستدعي الشيخ خيون إلى الناصرية بواسطة ضاري بك السعدون بأن الحاكم الملكي العام السير برسي كوكس (Sir Percy Cox) يستدعيه في بغداد[30]. ومنذ هذه اللحظة بدأت منزلة الشيخ خيون آل عبيد تكبر عند البريطانيين كونه الرجل الوحيد والمتنفذ في المنطقة.

يشير التقرير الرسمي للحكومة البريطانية لعام 1918بقوله:بـ" انه لم يكن من الجيد إرسال ممثل الحكومة إلى الشطرة حتى بداية هذا العام وهذا يرجع إلى التعبئة المتأخرة للشيخ خيون والموقف العدائي لآل ازيرج والعبودة "[31].

وتحت صفحة الأخبار المحلية ذكرت جريدة العرب التي تصدر بلسان الحكومة البريطانية وتحت عنوان (ضيفان شريفان) عن زيارة الشيخ ضاري بك السعدون والشيخ خيون آل عبيد إلى السير بيرسي كوكس الحاكم الملكي العام في العراق , فأحبا مواجهته وتجاذب السير أطراف الكلام مع كليهما، ورحب بهما، وبعد أن أقاما مدة (18) يوم طلبا العودة إلى ديارهما، وتمنى لهما سلامة الوصول بأمان[32].

([27])"Reports of Administration for 1918", Vol. I,P.381.

([28]) Ibid., P.381.

([29])عبد الجليل الطاهر، العشائر العراقية , ج1، بيروت، 1972، ص88.

([30]) المصدر نفسه، ص169.

([31])"Reports of Administration for 1918", Vol. I,P.381.

([32]) جريدة العرب، العدد (20) في الخميس11 ربيع الثاني 1336 هـ الموافق 24 كانون الثاني 1918، المجلد الثاني، ص2.

وذكر تقرير بريطاني كتبه الضابط السياسي في لواء الناصرية عام 1918، إذ يقول " كنت أسعى خلال خدمتي الأخيرة في المنتفق البالغة ثلاث سنوات ونصف، ان أضع السلطة لكل عشيرة من العشائر في يد رجل واحد , وهذا الشخص هو الشيخ وتنتخبه الحكومة في كل حالة من الحالات, وقد فاقت هذه السياسة كل التوقعات. فبينما كان المرء يجد ستة وسبعة شيوخ في كل عشيرة وكلهم بنفس المستوى حين احتلالنا للناصرية وسوق الشيوخ أول الأمر فأننا نجد رجلاً قوياً واحداً وهو يتلقى كقاعدة عامة معونة من الحكومة"، واستطرد التقرير عندما ذكر مسؤوليات الشيخ وحددها على النحو التالي(33):

1- تحصيل الضرائب بعد فرضها على العشيرة من قبل الضابط السياسي.

2- المحافظة على القانون والنظام في العشيرة.

3- حسم المنازعات الصغيرة الناشئة بين أبناء العشيرة وكذلك الكبيرة منها التي يحيلها إليه الضابط المذكور.

4- توفير العمال (من العشيرة ذاتها لاغيرها) عند الطلب.

5- تحصيل الإيجارات السنوية وتسليمها لمالك الأرض كلها ان كان ذلك ممكنا.

وقد حكم الشيخ خيون الشطرة بيد من حديد بعد منحه كل سلطات الإدارة المدنية ,إلا إنه ورد في أحد التقارير البريطانية بأن الشيخ خيون " رجل ماكر فض شجاع ثري", مناهض للبريطانيين لا لشيء وإنما حكومة قوية لا ترضيه بأي حال من الأحوال(34).

المبحث الثاني: الإدارة البريطانية المباشرة للشطرة:

بعد أن وضعت سلطة الاحتلال البريطانية الأسس العامة لتشكيلات دوائر الإدارة المدنية في مدينة البصرة التي أصبحت قاعدة عسكرية وإدارية لقواتهم، باشرت بالتقسيم الإداري للمناطق المحتلة في ضوء تقدم القوات العسكرية ومساحة المناطق المحتلة، إذ عدت هذه التقسيمات ضرورة أساسية لتنظيم وتنسيق المسؤوليات السياسية والإدارية، وأحكام السيطرة على المناطق وتهيأت مستلزمات القوات العسكرية كل ضمن حدود مسؤولياته، وعلى أساس هذه الاعتبارات قسمت ولاية البصرة العثمانية (سابقا) باستثناء سنجق نجد وقضاء الكويت على نمط التقسيم الإداري العثماني (سنجق، قضاء، ناحية)، لكن بفارق التسمية إذ استخدم البريطانيون عبارة

(33)"Reports of Administration for 1918", Vol. I,PP. 351-352.

(34)C.O. 730 - 150/68568 X/M / 8633. Notes on the Tribes and Shaikhs of Shatrah District, by Captain G.S.J.Berkely ,14th December 1919, P.2. وهي محفوظة في د. ك.و، موضوعها: وثائق مختلفة عن العراق، تسلسل الملف، 414، ضمن وثائق لندن.

بدلا عن قضاء، فيما أبقت على (District) بدلا عن سنجق، ومقاطعة (Division)منطقة تسمية الناحية[35].

على ضوء هذا التقسيم نظمت الإدارة في الوحدات الإدارية وكل حسب درجتها الإدارية، وهي متماثلة الى حد ما، واشتملت في المناطق على دائرة سياسية تألفت من ضابطين، احدهما بصفة حاكم سياسي والآخر بصفة حاكم عسكري، وحددت واجباتهما، في المحافظة على الأمن والنظام وتطبيق القوانين ومساعدة السلطات العسكرية في توفير المواد الغذائية للجيش وجمع الفلاحين لأعمال السخرة في المشاريع العسكرية، والفصل في النزاعات، وجباية الواردات[36]. ودراسة الإمكانيات الاقتصادية في مناطقهم الإدارية[37]. وتجنيد العشائر في فرق بوليسية[38].

وعلى هذا الأساس اقترح الرائد ديكسون في تقريره الرسمي بـ"انه من الأفضل ان لا ترسلوا ضابطاً سياسياً إلى المدينة بصورة دائمية، من دون ان ترسلوا معه بعض القوات لمساندته" , ومضى إلى القول بـ "أن زيارة خاطفة للمدينة شيء حسن للغاية، لكن امتلاكاً دائمياً لها يستوجب في المقام الأول إرسال وحدة مشاة يساندها زورقان مسلحان يرسلان إلى الكوت. وأقترح ان تتم هذه الحركة في موسم ارتفاع منسوب المياه إلى ان يتم احتلال هذه المدينة ويتخذ العسكر موقع متحكم فيها حتى تصبح هي وعشائرها طيعة سهلة الانقياد"[39].

---

(35) علي ناصر حسين، المصدر السابق، ص78.

(36)د.ك.و ,الوحدة الوثائقية , ملفات وزارة الداخلية، تسلسل الملفة: 32050/2099، موضوع الملفة: تقرير الإدارة، فتحت بتاريخ 1917/4/18 واغلقت بتاريخ 1917/12/31، و28، ص189.

(37) فيليب ويلارد ايرلاند، العراق. دراسة في تطوره السياسي، ترجمة: جعفر الخياط، بيروت، 1949، ص ص56- 57؛ ارنولد تالبوت ويلسون، بلاد ما بين النهرين بين ولائين، ترجمة: فؤاد جميل،ج1، بغداد، 1969، ص261.

(38) غيرترود لوثيان بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة:جعفر الخياط، ط2، بيروت، 1971، ص ص58- 59.

(39) د.ك.و ,الوحدة الوثائقية , ملفات وزارة الداخلية، تسلسل الملفة: 32050/2099، موضوع الملفة: تقرير الإدارة، فتحت بتاريخ 1917/4/18 واغلقت بتاريخ 1917/12/31 , و27،ص118.

فبعد شهر واحد من الزيارة التي قام بها الرائد ديكسون إلى الشطرة , عاد إليها مرة أخرى في 14 نيسان 1918. عندما قام مجموعة من الضباط كان من بينهم نائب المندوب المدني (Jesman), والكابتن جيسمان(Hallللبصرة في زيارة إلى الشطرة وهم كل من الكولونيل هول( ),وديكسون وعلي آل منصور Hall),والكابتن هول (Gordon Walker, وغوردون ولكر ( ) وصالح آل داغر شيخ عشيرة آل إبراهيم Macintoshوصكبان آل علي , والكابتن ماكنتوش(ومحرر بن حسين من بني سعيد , وعبد العالي آل طربوش احد شيوخ عشيرة خفاجة مع (75) رجلا من السوارية، فوصلوا الشطرة في مساء ذلك اليوم , واستأنفوا السفر في يوم 26 بالسفن من نهر الشطرة حتى ملتقى البدعة ومنها إلى الغراف, أمضى الفريق الليلة في ضيافة السيد حسن (والد السيد عبد المهدي المنتفقي) الواقعة داره على بعد(10) أميال من الكرادي (الحاكم *Wilson*(الرفاعي)، والتقى بفريق قادم من الكوت على الباخرة يضم الكابتن ويلسون( ) مساعد الحاكم السياسي في الحي , والتحق بهم الضابط Kirkالسياسي في الكوت وكيرك(هيسم من سوق الشيوخ على ظهر سفينة حتى البدعة[40].

ان هذا التغيير الجوهري الذي حدث في الإدارة البريطانية داخل هذه المنطقة وخاصة عندما تقدمت قوات نهرية في هور الحمار والغراف والبدعة اثبت فيما بعد نتائج ايجابية بالنسبة لسلطات الاحتلال البريطاني.

وقد ذكر الكابتن هيسم في تقريره بـ "ان نائب المندوب المدني كان مقتنعا جدا بالالتماس المشترك المرفوع من قبلنا لتعيين ضابط سياسي، إذ تم تعييني بعد ذلك بوقت قصير بمنصب ضابط سياسي مساعد منطقة الغراف والمقر في قلعة سكر، إذ أقوم من هناك بالمراقبة والأشراف على شؤون الشطرة"[41].

وعلى ضوء ذلك قرر المجتمعون بضرورة تعيين حاكم بريطاني للمنطقة واختاروا هيسم ليكون حاكماً للشطرة وقلعة سكر بأسم(حاكم الغراف)، على أن يمكث في كل منهما نصف شهر, وأوفدوا رشدي المرهج من معاوني ديكسون إلى الشطرة لتنظيم دوائر السراي وترقيم الدور والأسواق. ثم بعد ذلك أكملت السلطات البريطانية احتلالها للشطرة بشكل نهائي في شهر مايس

([40])عبد الجليل الطاهر، العشائر العراقية،ج1، ص185.

([41])"Reports of Administration for 1918", Vol. I, P.382.

عام 1918[42]. أما هيسم فقد باشر في منصف حزيران عام 1918 في قلعة سكر أولا ثم انتقل إلى الشطرة، فأنفرد بإدارتها بعد أن عين حاكم خاص للقلعة[43].

كان هذا الحاكم يراقب ماكان يجري في الشطرة بعين يقظة , فأعتذر الشيخ خيون عن المنصب الذي أنيط به وانسحب إلى مقره في الصديفة[44].

وهذا يوضح لنا مدى شدة الاحتراس من جانب البريطانيين من الشيخ خيون آل عبيد؛ لعدم اطمئنانهم اليه في كل الأوقات والأحوال لأن كلا منهما جس نبض الآخر, ويمكن القول ان السياسة البريطانية في هذه المدة تجاه الشيخ خيون كانت سياسة مرنة تأخذ وتعطي سواءا نحو الأسوء أو نحو الأحسن حسب الظروف خلال تلك المرحلة.

بعد انسحاب الشيخ خيون آل عبيد من البلده , بقيت تحت مراقبة الحاكم السياسي ديكسون راكدة مطمئنة، ثم عُيّن هيسم حاكماً عليها في الأخير. ويذكر ويلسون في كلامه عن الشطرة في عام 1918 , بأنها شهدت بدايات فيها لتعيين الحكام السياسيين[45].

أولاً: تعيين هيسم حاكماً بريطانياً على الشطرة:

يُعَد الكابتن هيسم من عيون رجال البريطانيين وعارف بسياسة الغرافيين, فهو سياسي ومراسل ومهندس ورئيس للبلدية. وصديق لزعماء العشائر في الغراف , ثم عزم على صيانة البلدة عمن حولها من الأعراب، حتى تكون مكشوفة من كل جانب ومختلطة بالأعراب ومنازلهم كأنها من أحياء أولئك الفلاحين لابلده ولاحاضرة , وفي هلال شهر شوال سنة 1336هـ/10 تموز 1918 رفع العلم البريطاني في الشطرة , وفي أثناء خطابه الذي ألقاه على بعض من اجتمع اليه من بطانيته قال (هذا علمكم وعلمنا)[46].

يبدو ان الكابتن هيسم كان رأيه مسموعا من قبل الضباط السياسيين الذين قاموا بزيارة إلى منطقة الغراف، وكان له الأثر الواضح في إضعاف بعض الشيء على بعض الشيوخ البارزين في منطقة الشطرة , وقد أفصح عن ذلك في تقريره إلى " انه من الضروري قلب وضع الخطة.. وأن اجعل الشطرة هي مقر قيادتي، ومن هناك يتم الإشراف ومباشرة على شؤون قلعة سكر". ويبدو

([42])Ibid., P.353.

([43]) حسين الشعرباف، الشطرة في الاحتلالين، ص58.

([44]) عبد الجليل الطاهر، العشائر العراقية، ج1, ص165.

([45]) ويلسون , المصدر السابق،ج2, ص298.

([46])"دار السلام" (مجلة)، العدد10، المجلد الرابع، الأحد 5 أيار 1921، ص ص152-153.

أن السبب الرئيس لهذا التغيير, أن الشيخ خيون وبعد وصول الضابط السياسي للغراف عُدَ نفسه معفياً من جميع المسؤوليات العشائرية والمدنية والتحق متقاعداً بعشيرته في منطقة الصديفة , وبدأ الضابط السياسي بمباشرة إدارة المنطقة , وبعد ذلك بوقت قصير جداً تم تقسيم منطقة الغراف، إذ تبع اتحاد عشائر الحميد وبني ركاب إلى الضابط السياسي المساعد في قلعة سكر , بينما تبعت عشائر العبودة وآلبو سعد وخفاجة وبني زيد وبني سعيد إلى الضابط السياسي المساعد لمنطقة الشطرة[47].

ان مدينة الشطرة كانت تتأثر تأثيراً كبيراً بالنسبة للأحداث التي تقع في العراق وخاصة في مناطق الفرات الأوسط. وكما ذكر معاون الضابط السياسي في الشطرة في تقريره بـ" أن الأخبار وردت عن إجراء وتحرك الحكومة في منطقة النجف , وان هذه الأخبار تتعلق وتستوجب تهدئة المنطقة أكثر من أي شيء آخر"[48].

وقد عزى تقرير بريطاني سبب تأخر البريطانيين بتعيين حاكم سياسي من قبلهم في منطقة الشطرة إلا في عام 1918، على الرغم من سيطرة البريطانيين على هذه المنطقة في عام 1917؛ يرجع بدوره لـ " تأخر رضوخ الشيخ خيون آل عبيد لنا وللموقف العدائي لعشائر آل ازيرج وخفاجة والعبودة، فلم يكن من المستحسن إرسال ممثل حكومي إلى منطقة الشطرة حتى وقت مبكر من هذه السنة"[49].

لقد واجهت الكابتن هيسم مشاكل عدة أثناء مدة حكمه في مدينة الشطرة في بادئ الأمر , وخاصة مع عشائر الشطرة، التي تعاني من صعوبة فهم الحكام البريطانيين. فبالنسبة لعشيرة العبودة وشيخها خيون آل عبيد، فقد ذكر تقرير بريطاني بـ"أنه ولد مقاتلا وثريا وينطوي على كل صفات جنسه السيئة والجيدة. وأبرزها عدم قدرته على القتال الا مع من يعتقد بأنه سيفوز, وهذا الموقف على الرغم من كونه عاملا مساعداً لنا, يجعل منه رجلاً لايمكن الحكومة أن تثق به ". ومضى التقرير بالقول بـ" انه طالما يبقى خيون في المنطقة تبقى العبودة عشيرة يشار لها بالبنان وبدعم منه سوف تنتفض وتتبعه كلما تقتضي الضرورة". وبالنسبة للموقف السياسي

([47])"Reports of Administration for 1918", Vol. I,P.381.

([48]) Ibid.

([49]) Ibid.

لعشيرة العبودة من جانب البريطانيين إذ عدوها بـ " انها عشيرة غير موثوق بها ولاتستحق الثقة.. وخيون الذي تنظر اليه العشيرة ككل يتبع الجانب الغالب"[50].

ومما يلاحظ على الحكام السياسيين في منطقة المنتفق كانت تصطحبهم نوع من الأزدواجية حتى في كتابة التقارير الرسمية المرفوعة إلى الجهات العليا في بغداد, فعلى سبيل المثال ان هيسم الحاكم البريطاني للشطرة يثني على المساعدات التي قدمها الشيخ خيون له في بداية حكمه للمدينة اذ ذكر " أود أن أسجل تقديري للمساعدات القيمة التي قدمها لي الشيخ خيون آل عبيد , ولقد كان موقف هذا الشيخ صعبا جدا , إذ عند وصولي إلى الشطرة اجبر على ترك منصبه وهو يعني ترك شيء عزيز جداً ويحبه العربي جداً وهو ممارسة السلطة...إن معظم الشيوخ المؤثرون في المنطقة نظروا إلى رجوع الشيخ خيون إلى الصديفة على أنه هزيمة, ولقد كنت أنا لقمة مره يجب على خيون أن يبتلعها , ولقد كانت مساعدته لي تستحق كل تقدير, ولقد ساعدني على هدم نصب وأصنام قد أقامها هو بنفسه , وقدم لي هذه المساعدات في الوقت الذي كنت بأمس الحاجة لها، وكانت قيمة جدا بشكل لايمكن تصوره,وأرجو ان تسجل مساعدته وعمله الجيد في السجلات"[51].

وتُعَد عشيرة خفاجة وموقعها الجغرافي التي تقع بين الناصرية والشطرة من بين المشاكل التي واجهها الكابتن هيسم فقد ذكر بـ " انه حتى وقت قريب كان رجال خفاجة هم قطاع الطرق المعروفين في المنطقة وان الطريق بين الناصرية والشطرة لم يكن آمنا أبدا. فقد كان التجار يتعرضون للتسليب، وكانت النساء تختطف، وكانت تحدث بينهم معارك حول تقسيم الغنائم دائما, ولا يمكن تحمّل العشيرة مسؤولية كاملة عن هذه الروحية الفاقدة للقانون, وهي أكبر عشيرة في منطقة المنتفق من حيث انتشارها(باستثناء عشيرة بني سعيد التي تشغل حوالي ثلث المنطقة) "[52].

وكانت عشيرة خفاجة قوية تخشاها جيرانها المحيطين بها وسمعتها تأتي من أنها تحتوي على العدد الأكبر من اللصوص وقطاعي الطرق،" إلا إنها من ناحية أخرى فقد أصبحت العشيرة

([50]) د.ك.و.الوحدة الوثائقية , ملفات الاحتلال البريطاني، تسلسل الملفة: 209/1056, موضوع الملفة: العشائر العراقية , أعدادها وتقسيمها الإداري وتاريخها , فتحت بتاريخ 1915/7/16 واغلقت بتاريخ 1921/8/15، و78، ص252، و78، ص254.

([51]) "Reports of Administration, 1918",P.388.

([52]) Ibid., P.382.

المتماسكة التي لها اليد الطولى من الطرف الجنوبي من الغراف, وبعض من أفخاذها معادي للبريطانيين وبعضهم الآخر محايد والبعض الآخر مجامل لهم, إلا أن بعضا منهم مرتبطون بعملية السرقة وقطع الطرق على طريق الناصرية – شطرة الذي يمر بمنتصف مقاطعتهم. كما يلفت للنظر بأنهم مقاتلين أشداء وجيدي التسليح، وهذا يرجع بدوره إلى قيمتهم القتالية"[53].

عندما قام الضابط السياسي لمنطقة الناصرية بإبقاء الشيخ علي الفضل شيخاً على خفاجة فأن الأخير كونه عارفا بوضع عشيرته، رفض بشكل صريح ان يكون ممثلا للحكومة، ولعدة أيام بعد ذلك جلس بباب الضابط السياسي مشتكيا من تقدمه في العمر ومتذرعاً بأعذار كثيرة بأن يترك ليعيش بهدوء بعيدا عن هموم عشيرته, لكنه كان الرجل المناسب لهذا المنصب , فعندما رأى أنه لامناص ولاعذر لإعفائه من المهمة , قام بتجهيز نفسه لإصلاح ما أفسدته السنين , وأن نجاحه في هذه المسألة تؤكد حقيقة انه لم تحدث خلال سنة كاملة سوى سرقة واحدة غير مهمة في منطقة من خفاجة[54].

وأشار معاون الحاكم السياسي للشطرة بـ "ان علي آل فضل رجل قوي، لكن إبنه صكبان له شخصية أقوى من والده وهو ضابط في خيالة المنتفق وهو إلى حد بعيد وواضح أفضل ضابط في الكتيبة ", وفضلا عن ذلك " فقد كان في منصبه يتلقى معلومات ومعرفة دقيقة حول طرق واحتياجات الحكومة ونحن ننظر قدما متوسمين فيه خيراً.... فأن هذه العشيرة سوف تنمو وتتطور إلى ما كانت عليه من الحالة المتقدمة التي تراجعت عنها سابقا مرغمة"[55].

أما بالنسبة إلى عشيرة بني زيد التي يتزعمها الشيخ سليمان الشريف, فقد لاحظ هيسم ان احد أفراد هذه العشيرة وهو محمد الملا حسين، كان دائما يثير المشاكل ضد هذا الحاكم , وسبب ذلك حسب رأي هيسم هو " أن محمد الملا حسين له ثلاث سوابق في المحاكم، وقد تم أعادة هذه القضايا التي حكم فيها العقيد هاول قبل وقت بعيد , ويجب مراقبة خطط هذا الرجل بعناية؛ وذلك لأنه يصرف معظم وقته أما بالاستيلاء على أرض غيره أو الحط من قدر الشيخ سليمان في أعين

([53]) د.ك.و.الوحدة الوثائقية , ملفات الاحتلال البريطاني، تسلسل الملفة: 209/1056 موضوع الملفة: العشائر العراقية أعدادها وتقسيمها الإداري وتاريخها , و57, ص 158، و 57, ص159.

([54]) "Reports of Administration , 1918" ,P.383.

([55]) Ibid.

الحكومة"[56]. وعلى الرغم مما قيل فأن عشيرة بني زيد عموما كانوا يسببون القليل من المشاكل للحكومة البريطانية[57].

وفيما يتعلق بعشيرة آلبو سعد فعلى الرغم من كونها عشيرة صغيرة، لكنها كانت تسبب مشاكل للبريطانيين لايستهان بها، وتتكون العشيرة من أربعة أفخاذ ,قد ذكر هيسم بـ "أنه سمح لهم لوقت قصير بالاستمرار بشكل مستقل كل على حده حتى تمكنت من أن أكون في وضع يمكنني من معرفة أيهم أقوى , وأن الشيخ الذي كان له الإدعاء الأول للمشيخة هو سعدون الكريدي، وقد منحته كل الفرص اللازمة لتأكيد وتثبيت ادعائه بها , لكنه لم يمكن نفسه ولم يستفد من هذه الفرص ولقد اتضح بأنه لا يستطيع , لكن ابنه عبيد شخص نشط ويمتلك تأثيراً كبيراً أكثر من أبيه. وسوف يتفوق على أبيه مستقبلاً, وقد اخترته بعد تفكر وتخطيط كبيرين يشبه إلى حد كبير سويلم الهواش في شخصيته وتحمله للأعباء الثقيلة ويملك دهاءاً مطلقاً، لكنه قوي , ونحن نبحث عن الأقوياء ونحتاجهم , وأنه توجد جميع الأسباب التي توجب استقرار وهدوء عشيرة البو سعد تحت قيادة حسين آل جعين وهو قوي بشكل يكفي لفرض القانون والنظام"[58].

وبخصوص عشيرة بني سعيد فقد كانت تمثل للشطرة كما يمثل البو صالح بالنسبة لمنطقة سوق الشيوخ , وأن الحالة بين أفخاذ بني سعيد تُعَد أكثر حدة , إذ أنهم واقعيا يجاورون بدر الرميض , ولقد كان لهذا الموقع حسب رأي هيسم "تأثير سيئ وخبيث عمليا مما يفسر صعوبة السيطرة على عشيرة بني سعيد ", ومضى هيسم إلى القول بـ"أن الشيخ نايف – شيخ بني سعيد – ساعد على جمع العمال من اجل إتمام العمل في مشروع الري. وكان يرغب بان يؤدي الدور الأضمن أو أن يؤدي الدور الصحيح , وأن هذا ينطبق على جميع بني سعيد وبصورة خاصة فخذ الشاهين، وهو فخذ عليوي آل نايف , أما الفخذين المتبقيين ضمن المنطقة هما آل معيوف وآل غشيم، وهما تحت السيطرة ولايسببان أية مشاكل"[59].

([56]) Ibid.
([57]) Ibid.
([58]) Ibid.,PP.383-384.
([59]) Ibid.,P.384.

وأقترح الكابتن هيسم في تقريره بـ" ان وجود ضابط بريطاني في الدواية، سوف تكون الإدارة لبني سعيد سهلة، لكن في الوقت الحاضر وبوجود مدير ذو شخصية قليلة القوة تكون السيطرة صعبة"[60].

وعلى الرغم من المشاكل التي تطرقنا إليها التي تتعلق بعشائر الشطرة , التي واجهت الكابتن هيسم، إلا انه استطاع بعض الشيء تحقيق خطوات ايجابية في هذه المرحلة الصعبة في مدة حكمه بالمنطقة , لكن أن أهم مشكلة واجهت هذا الكابتن هي الكلام الكثير بين أبناء المدينة حول عودة الحكومة التركية إلى العراق, ولقد أستمر هذا الكلام على الرغم من تصريح المندوب المدني في الناصرية والإعلان اللاحق في جريدة البصرة. وأن هذا الموضوع أصبح هو الموضوع المفضل متداولاً في دواوين الناس المؤثرين في الشطرة[61].

من الواضح ان هذا الحاكم كان مدركاً بقيام وضع متأزم باحتمالات خطيرة , فلقد قام حسن آل بدر الرميض بزيارة عليوي المرهج، وحاول إقناعه بأن الحكومة التركية سوف تعود قريبا إلى العراق، وإنها سوف تكافئ أولئك الذين سببوا مشاكل للحكومة البريطانية , وحسب رأي هيسم "أن عليوي لم يكن موجوداً في الشطرة لمدة طويلة خلت, وعذره في ذلك انه كان مريضا جدا وقد يكون ذلك صحيحا وقد لايكون , ويقوم بالعمل يدا بيد مع عليوي ونايف آل مشاي. وكان الاخير أكثر ميلاً للتعقل، لكنه يجد صعوبة بالعمل ضد رغبات عليوي"[62].

وأقترح هيسم من جراء ذلك على الإدارة البريطانية في الناصرية في تقريره بـ" أنه لابد من وجود نسخ كثيرة من جريدة البصرة ترسل إلى جميع الأماكن المعروفة في البلدة , من اجل ان تؤثر تأثيرا كبيرا في وضع حد لمثل هذه المناقشات غير المرغوبة"[63].

ثانياً – تعيين برترام سدني توماس حاكماً بريطانياً على الشطرة:-

بعد ان غادر الكابتن هيسم الشطرة إلى خارج العراق أعقبه الكابتن برترام توماس وذلك في 6 شباط عام 1919, ويتميز هذا الحاكم بحبه للعلم والأدب متقرباً للعلماء والأدباء عصبياً صلباً مستبداً كسائر المستعمرين , أغلق الأسواق ثلاثة أيام وسخر أهاليها لتسوية مطار للطائرات مجاناً , وسخرهم ثانية لإقامة سداد للبلدة. وأمر سراكيل ورؤساء بني زيد بتسديد ضرائبهم

([60]) Ibid.

([61]) Ibid.,P.386.

([62]) Ibid.,P.384.

([63]) Ibid.,P.386.

بواسطة شيخهم سليمان الشريف فأبوا إلا تسليمها للخزينة مباشرة , وجاءوا إليه وهو مدعوا للعشاء في دار خيون آل عبيد مصرين على موقفهم، وكان من بينهم دلي الكنش رئيس فخذ الكنش وصهر خيون , فرجاه مُضَيّفَهُ بمساعدتهم، وعلى أثرها ترك توماس المائدة وذهب إلى السراي, وأرسل زبانيته فقبضوا عليهم وأودعوهم التوقيف, وعاد إلى دار مُضَيّفَهِ لتناول عشائه ثم أرسل الموقوفين صباحاً إلى الناصرية فسجنوا هناك مدة شهر , وسخرهم في كنس وتنظيف شوارع المدينة مع تغريم كل منهم ألف روبية وتهديم قلاعهم(64).

لقد كان توماس قلقا من هجمات بدر الرميض عندما كان في سوق الشيوخ, مما زال هذا القلق يساوره حتى بعد مجيئه إلى الشطرة, فقد كان شبح الشيخ بدر يلاحق هذا الحاكم حتى بعد تركه مناطق نفوذ هذا الشيخ , خوفا من تأثيره على بعض شيوخ عشائر الشطرة , ففي 20 مايس 1919, وصلت رسالة من الحاكم السياسي في الناصرية إلى توماس تتعلق بقضية الشيخ بدر الرميض , فقد أخبره بـ "أنه يجب أن تتحرك بقوة رسمية مؤلفة من(20) رجل من العشائر الصديقة , وذلك لمهاجمة هذا الشيخ من شمال المنطقة التي يقطنها , بحيث يحصل التعاون مع القوة الرئيسة التي تقوم بالهجوم من جنوب هذه المنطقة"(65).

لقد كانت المنطقة التي يقطنها الشيخ بدر الرميض امتداداً إلى عشيرة بني سعيد الواقعة بين الشطرة والعمارة, تمثل بالنسبة لهذا الحاكم صعوبة التحكم والسيطرة على بعض الانتفاضات التي تحصل فيها , علما ان هذه المنطقة تخلى عنها العثمانيين مدة من الزمن , وتوماس كان الشخص البريطاني الوحيد في هذه المنطقة(عشيرة بني سعيد)، واستطاع بجهوده الشخصية بأن يجمع(200) رجل من عشيرة بني سعيد , إلا أن هذه الحملة التي كان لتوماس دور فيها وذلك بإسناد بعض شيوخ عشيرة بني سعيد له فشلت فشلا ذريعاً لأنها لم تقضي على الشيخ بدر الرميض؛ لأن الأخير ذهب واختفى وسط الهور ورجعت القوات الرسمية إلى الناصرية(66).

لقد كانت تواجه برترام توماس صعوبات أساسية خلال مدة حكمه في الشطرة , وتكمن هذه الصعوبات بوجود شخصيتين قويتين في منطقة المنتفق, أول هذه الشخصيات هو مقاومة الشيخ بدر الرميض لمدة طويلة ضد سلطات الاحتلال البريطاني, إلا أن هذه المقاومة ضعفت بصورة

---

(64) حسين الشعرباف، الشطرة في الاحتلالين, ص ص59-61.

(65) Bertram.S.Thomas , Alarms and *Excursions* in Arabia , New-York ,1931,PP.45-46.

(66) Ibid, PP.46-55.

تدريجية؛ وذلك باستسلام هذا الشيخ للسلطات البريطانية,بعد أن حصلت بعض التغييرات في بدلاً من ديكسون , كحاكم (Ditchburn)الإدارة البريطانية في الناصرية. فقد جاء دجيبرن سياسي لمنطقة المنتفق , ومهما يكن من أمر , فقد أعلن الشيخ بدر الطاعة للحاكم السياسي دجيبرن وقال" أنا لن اكون الا أحد جنودكم من الآن فصاعدا"[67], ويبدو ان هذه الصعوبة قد انتهت وأصبحت في طي النسيان بالنسبة للكابتن توماس؛ عندما أعلن الشيخ بدر الطاعة والولاء للسلطات البريطانية.

أما الصعوبة الثانية التي واجهت توماس , وهي وجود الشيخ خيون آل عبيد في المنطقة التي يحكمها هذا الكابتن فقد ذكر " لقد كنت خلال خدمتي في الشطرة , وجدت الرجل الوحيد الذي يتقاطع سيفي مع سيفه هو الشيخ خيون آل عبيد , كان سلوكه صامتاً ومقطب الجبين , ونادراً ما يرى في المناسبات , يبدو عليه لمحات(سمات) الكبر والعظمة , ويبدو ايضاً ان اتهام العثمانيين وعائلة السعدون كان صحيحاً , لكنه غير موثوق به"[68].

لكن هذا الحاكم لم يبق مدة طويلة في حكمه للبلدة, وذلك للظروف الصحية التي ألمت به, عندما كبا به جواده فأسقطه أرضاً وانكسر ضلعه فسفر محمولاً إلى لندن في أيلول 1919[69].

ثالثاً- تعيين الكابتن بريكلي Berkeley C.S.I.: حاكما على الشطرة

عين بدلا من الكابتن توماس الكابتن بريكلي مساعداً للحاكم السياسي في الشطرة , وقد باشر مهامه في أيلول عام 1919, ويتصف بالحزم والجدية مع الاستبداد, جلد الكثير من المواطنين أعرابا ومدنيين لأي هفوة أو مخالفة هينة, غَرّمَ سعدون آل عبيد شقيق الشيخ خيون عشرة بنادق لامتناع مزارع من الحاوي أعطاء مخضرات من مزرعته إلى شرطي طلبها منه, فشكاه الشرطي لسيده , مدعياً اعتداء المزارع عليه, كما أنه خرج بنفسه لذرعه مزارع الشلب لاحتساب تحقيقات الضرائب بدلا من طريقة التخمين المعتادة سابقا, فكانت ضريبة الصديفة (60) ألف روبية, فتألم الشيخ خيون من الأمرين (تغريم أخيه , وتحقيق الضريبة)، وأخذ بتحريض العشائر ضد حكومة الاحتلال لاتخاذها مبدأ الذرعة بدلا من التخمين[70].

([67]) Ibid,PP.56-59.

([68]) Ibid., P.90.

([69]) حسين الشعرباف، الشطرة في الاحتلالين, ص59.

([70]) المصدر نفسه.

وقد استطاع بريكلي في مدة حكمه مساعداً للحاكم السياسي في الشطرة من إخضاع شيوخ عشائر المنطقة ورؤساء أفخاذ هذه العشائر إلى السلطات البريطانية، وكسب ودهم وولائهم، إلا أن هذا الحاكم كان يرتابه بعض الشيء من الشيخ خيون آل عبيد فقد وصفه بـ"أنه الرجل الأقوى في الغراف، الذي سيقف ضدنا إذا ما اندلع اضطراب ما في أي مكان كان , لكني أعتقد أن قوته ستتضائل؛ وذلك لانفصال العشائر التابعة له عنه, لاسيما حينما تدرك قوة الحكومة"[71].

كما أكد في تقريره هذا عن شخصية الشيخ خيون بـ"أنه الرجل الأكثر أهمية في الغراف، فقد حكم معظم العشائر هنا، وحتى شهر مضى كان يتآمر مع غيره من الشيوخ الموالين له وفي الوقت نفسه أنني أجد من الأمن أن أقول أنه سيكف عن إثارة المتاعب إذا ما هدد بالتعذيب"[72].

ويبدو أن التقارير الإدارية التي يرفعها الحكام البريطانيون الذين خدموا في الشطرة أكدت على قوة ونفوذ الشيخ خيون آل عبيد , فقد كانت تتولد لديهم حقائق ومعلومات من خلال تجربتهم في ممارسة عملهم الإداري. إذ كشفت واتضحت لهم أمور كثيرة عن الشخصيات الموجودة في المنطقة , وخاصة عن الشيخ خيون وبريكلي يُعَد ثالث الحكام البريطانيين الذين حكموا الشطرة بحذر ويخشى من نوايا وطموحات هذا الشيخ , كما سبقه أسلافه من الحكام عن إفصاح هذه الحقائق.

ففي تشرين الأول عام 1919 ذهب الشيخ خيون إلى الناصرية وتبنى في الآونة الأخيرة سياسة إبداء الرضا عن الحكومة ظاهريا , فعلى سبيل المثال سدد(2000) روبية من ضريبة عائده الصيفي و(6000) روبية قبل موعد تسديد الضريبة[73]. وكان هذا الحاكم ذو شخصية شديدة ومكروه من قبل أهالي البلدة , بسبب سوء تصرفه معهم واستعمال العنف ضدهم في بعض الأحيان[74].

رابعاً:تعيين ميد Mead مساعداً للحاكم السياسي في الشطرة:

([71])C.O. 730 - 150/68568 X/M 8533. Notes on Tribes and Shaikhs of Shatrah District , by Captein, C.S.J.Berkely, 14th December 1919 ,P.1.
وهي محفوظة في د. ك.و، موضوعها: وثائق مختلفة عن العراق، تسلسل الملف، 414، ضمن وثائق لندن.

([72]) Ibid.

([73]) Ibid.

([74]) مقابلة شخصية مع الأستاذ الفاضل سيد مكي السيد جاسم بتاريخ 1988/11/11.

ترك بريكلي الشطرة في 29 آذار1920للحاكم الجديد ميد , وكان ضعيف الشخصية جاهلاً بالأمور الإدارية, في وقت اتسعت بين العراقيين بوادر قضيتهم والمطالبة بالاستقلال لبلادهم. وقد أدان تحقيقات ضريبة الحاصلات الشتوية فأرسل ميد رجاله لذرعها , إلا أن الشيخ خيون آل عبيد أغتنمها فرصة بالاتفاق مع حسين الشعرباف , فقد دعى الأخير لديوانه كل من الشيخ علي الفضل شيخ عشيرة خفاجة , ونايف آل مشاي شيخ عشيرة بني سعيد , وسليمان آل شريف شيخ عشيرة بني زيد, وحسين آل جعين احد شيوخ عشيرة آلبو سعد , وحسين آل خافور شيخ عشيرة آل عواد (من عشيرة العبودة) وعرضت فكرة المقاطعة السلمية للسلطة , وأطمأن المجتمعون فلا علاقة للشعرباف بالزرع والمزارعين , وليس لخيون صاحب الفكرة مزارع شتوية لدفع الشر عنها , واتفقوا مبدئياً بمنع السلطة من مسح مزارعهم[75].

ومن الجدير بالذكر أن ننوه بهذا الصدد بأن الرائد دجيبرن حاكم الناصرية السياسي , علم بهذا التمرد , فأسرع إلى الشطرة وبقيَّ فيها يومين , محاولا إقناع المزارعين بعدالة الذرعة بدلا عن التخمين , لكن جهوده باءت بالفشل، فرضخ لطلبهم خوفاً من التحاق عشائرهم بالحركة الوطنية[76].

وفي نيسان1920سافر الشيخ خيون آل عبيد إلى العتبات المقدسة تهيأ لأداء فريضة الحج، فصادف هناك اجتماع أقطاب العراق ورؤساء وشيوخ العشائر بمؤتمرهم المشهور والمشمول برعاية الأمام الشيرازي فأجتمع بهم وتحالف معهم للعمل على استقلال العراق , وعاد للشطرة مشبعاً بالروح الوطنية[77].

ويستبان بأن خطط الانتفاضة الشعبية المسلحة لعام 1920 كانت قد وضعت بصورة أكيدة في كربلاء في منتصف حزيران، عندما كانت جماعات من الشيوخ والوجهاء هناك تؤدي (مراسيم الزيارة). ففي الشطرة نصح الشيوخ الكابتن ميد في 1 مايس1920 بأنه إذا أصر على قياس المساحات المزروعة بالحاصلات بالحبل والسلسلة فسوف يقاوم بالقوة , وأن هذه الطريقة في تقدير ضرائب الحاصلات ادخلها العثمانيون إلى البلاد[78].

([75]) حسين الشعرباف، الشطرة في الاحتلالين, ص60.

([76]) المصدر نفسه.

([77]) المصدر نفسه. ص61.

([78]) ايرلاند، المصدر السابق , ص204.

ويذكر لي أحد الأهالي بأن الحاكم البريطاني ميد كان شرطياً , وفي أيامه ظهرت الأفكار الثورية في البلدة[79].

لقد أدركت السلطات البريطانية في مايس1920خطورة الموقف الجديد في العراق الذي ينشب عن قيام عاصفة قوية على أثر العصيان المسلح، الذي من المتوقع ان يحدث في مناطق كثيرة من العراق[80].

وفضلا عن ذلك , فقد ابرق الضابط السياسي في المنتفق الرائد دجيبرن إلى المفوض المدني) يخبره بـ" انه تسلمت تقريرا مستعجلا من *Arnold Wilson*في بغداد السير ارنولد ويلسون(مساعد الضابط السياسي للشطرة يخبرنا بأن موقف العشائر يبدو غامضاً وانهم قد بدؤوا بشراء البنادق ويرفضون إعطائنا المعلومات عن عدد الحاصلات الزراعية من أفراد العشائر لغرض جمع الريع الحكومي , إذ توحدت عشائر خفاجة مع عشائر العبودة , فأن الموقف سيصبح صعباً جداً, والصعوبة في السيطرة على هذه المنطقة فقد تتطلب شبكة من الطرق. كما إن العنف الثوري المشهور سيجعل من الصعوبة إخضاعها للسيطرة أو قهرها", وان ذلك يعني بـ" أن مساعد الضابط السياسي هناك قد ضعفت سيطرته"[81].

ولهذا السبب قام المفوض الأهلي السير ارنولد ويلسون بإحضار الكابتن برترام توماس إلى مكتبه في بغداد, بعد أن اتصل به تلفونياً , وأخذ رأيه بصعوبة الموقف في منطقة الشطرة وخطورته؛ لأن هذا الكابتن خدم مدة ليست بالقليلة في منطقة المنتفق , قياساً بالحكام البريطانيين السابقين,لكن توماس كان رأيه صريحا وواضحاً عندما أجاب ويلسون بأنه يرغب كثيرا بإرساله إلى هذه المنطقة[82].

وعلى هذا الأساس قرر السير ويلسون إرسال الكابتن توماس مساعداً للضابط السياسي في الشطرة , ونتيجة لوضع الترتيبات الأمنية لوصول هذا الكابتن إلى هذه المنطقة, فقد أخبر السير ويلسون رئيس الأركان بـ "أنه يجب أن تتحرك من الكوت إلى الحي مع كتيبة مدفعية آلية

([79]) مقابلة شخصية مع الأستاذ مكي السيد جاسم بتاريخ 1988/11/11.

([80])Thomas , Op.Cit.,P.72.

([81]) Ibid.,PP.73-74.

([82]) Ibid.,P.74.

بريطانية محمولة, تحت إمرة مساعد الضابط السياسي للشطرة لحين وصوله إلى ذلك المكان، ومن ثم إلى شط الغراف, ثم إلى شط البدعة"[83].

خامساً: عودة توماس إلى الشطرة مساعداً للضابط السياسي فيها:

أعيد برترام توماس إلى الشطرة ثانية في 24 مايس1920, بعد أن ثبت ميد فشله بحكم مدينة الشطرة , ونقل منها إلى مديرية شرطة الناصرية. وكان توماس مزوداً بتعليمات من الحاكم العام ويلسون بالقبض على الشيخ خيون آل عبيد الذي كان يومئذ مسافراً إلى العتبات المقدسة تهيأ للسفر إلى الديار المقدسة وقت مجيء توماس إلى الشطرة , وتسفير هذا الشيخ بعيداً عن الشطرة[84].

وفي هذا الصدد ننوه بأن البريطانيين أرادوا إحكام سيطرتهم على العشائر المحيطة بالمنطقة, وأضعاف نفوذ شيوخها , فمثلا كانت عشيرتا العبودة وخفاجة تشكلان حسب رأي الضابط السياسي للناصرية في تقريره الذي بعثه إلى ويلسون , فمن الملاحظ ان صلات العبودة وخفاجة عشيرتان متقاربتان في السكنى ويشكلان تجمعاً عشائرياً كبيراً , لهذا كان البريطانيون يخشون من توحدهما -وهذا بعض من نوايا السياسة البريطانية - التي تهدف إلى تحقيق نظرية (فرق تسد) [85].

ويبدو أن رأي السير ويلسون بإرسال توماس إلى هذه المنطقة كان في غاية الأهمية , خاصة بعد توتر الوضع في الفرات الأوسط , فخشي الحاكم العام ويلسون، ان ينتقل التوتر إلى الشطرة , لما كان بينها وبين النجف من روابط قوية , فأرسل اليها الكابتن توماس، إذ عُدّ الرجل المناسب لها في تلك الظروف[86], ونظرا لمعرفته الشخصية بالكثير من الأهالي في البلدة , فقد كان الشخص البريطاني الذي يتقن اللغة العربية أو بالأحرى اللهجة العامية للغة التي يتكلم بها الأهالي , من بين الحكام السابقين الذين خدموا في هذه المنطقة[87].

وعندما باشر الكابتن توماس أعماله الإدارية في مدينة الشطرة، قام بجولة في المناطق المحيطة بالبلدة , لكي يتأكد من ولائها للحكومة البريطانية , وذلك عن طريق أصدقائه الذين

([83]) Ibid.

([84]) Ibid.

([85]) Ibid.

([86])علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث،ج5، بغداد، 1978, ق2,ص80.

([87])Thomas ,Op.Cit.,P.85.

تعرف عليهم خلال مدة حكمه الأولى للشطرة. وفي 12 تموز1920 ذهب إلى الدواية من أجل جس نبض العشائر القاطنة هناك، التي تتمركز فيها عشيرة بني سعيد , وأثناء تجواله التقى بالشيخ نايف آل مشاي شيخ هذه العشيرة، وشاهد عن طريق الصدفة (21) رجلاً مسلحا من رجال الشيخ نايف(88).

ويذكر لي أحد أهالي الشطرة الذي كان شاهد عيان على تلك الأحداث التي تجري في المدينة , بأن جماعة من عشيرة بني سعيد قاموا بضرب الكابتن توماس وأهانته، بحيث أن وصلت به الحالة انه لايحرك ساكناً؛ لأنه تلقى ضربًا مبرحاً وعنيفاً من قبل هؤلاء الأشخاص، ثم ربطوه على ظهر حصانه بالحبال حتى تدخل الشيخ نايف وأنقذه من قبضة هؤلاء الثوار في الدواية(89).

ويذكر توماس بهذا الصدد بـ "أن الشيخ نايف كان نادماً وغير مرتاح للأعمال اللامسؤولة التي قام بها رجال عشيرته... لقد استخدمت الحكمة اكثر من الشجاعة وأخبرته بأنني لن آخذه إلى الشطرة في صباح اليوم التالي اذا كان الموقف الرسمي يزعجه , لكنني لن أسمح أمام عيني بأن أرى أسلحة لتحدي القانون وأمرت بمصادرة (21) بندقية , جاءني بالحال منها (11), وبعد أسبوع جاءني الشيخ إلى الشطرة مصطحبا معه العشرة بنادق الباقية"(90). ولم يمض توماس في حكمه لمدينة الشطرة الا لمدة قصيرة لم تتعدى الثلاثة أشهر، فقد غادرها في 27 آب عام 1920 نتيجة للعنف الثوري والاضطرابات التي حدثت داخل المدينة.

المبحث الثالث: التنظيمات الإدارية والأعمال العمرانية التي قام بها البريطانيون في الشطرة:

أولاً: تنظيم الملاكات الإدارية والخدمية في الشطرة:

لقد اهتمت الإدارة البريطانية بتشكيل الدوائر البلدية التي تكمن أهميتها في المبالغ المالية التي كانت توفرها للسلطات المحتلة من خلال الرسوم المفروضة على المنازل والجسور، وعلى بعض الحيوانات التي تدخل المدن كالخيول مثلاً،وكذلك البضائع. فضلاً عن الضرائب المفروضة على التبغ والملح وأسعار النفط المخزون في محطة تعبئة البلدية ورسوم الطوابع. لاسيما الحكام السياسيين ومساعديهم كانوا يرفضون تسليم العرائض التي كانت تخلو من الطابع(91).

---

(88) Ibid,P.92.

(89) مقابلة شخصية مع الأستاذ الفاضل سيد مكي السيد جاسم بتاريخ 1988/11/26.

(90)Thomas , Op.Cit.,P.85.

(91)علي ناصر حسين، المصدر السابق، ص128.

1- تشكيل المجلس البلدي:

وأشار مساعد الحاكم السياسي للشطرة في مذكرته المؤرخة في 22 تموز 1918 إلى المساعد المالي لنائب المندوب المدني في البصرة بـ "أن المجلس الحالي للمكتب السياسي في الشطرة، صدرت الموافقة عليه وسجل على حساب الضيافة الشخصية للحاكم البريطاني"[92]. وكان هذا المجلس يتألف في بادئ الأمر مما يلي[93]:

المجلس البلدي	الراتب الشهري	التاريخ
رئيس البلدية	80 روبية	1918/6/1
المختارين	30 روبية	1918/6/1
الكاتب	40 روبية	1918/6/1

وقد جاء الرد على هذه المذكرة من قبل مكتب المندوب المدني في البصرة بواسطة الملازم الاول بييل (C.T.Beale) نيابة عن المندوب المدني وذلك بتاريخ 7 آب 1918 إلى مساعد الضابط السياسي في الشطرة وتنص هذه المذكرة على " ان نائب المندوب المدني يعتبر كل الوظائف المدنية والبلدية في كفة التبذير وليس هناك حاجة لإقامة مجلس خاص بهيئة التحكيم ولا لكاتب الضبط (جابي الدخل). ان كان الدخل يجب ان يكون قادراً على التعامل مع تلك الواجبات. علماً انه لا توجد مدخولات او ريع يجمع في الشطرة. ولهذا فان المدينة التي فيها مختار وكاتب يتقاضون (100) روبية شهرياً لا حاجة لهم بالشرطة. وان البقية الباقية في تلك البلدية يوافق لهم على ستة اشهر فقط. وبهذا من مجلس البلدية لم يوافق عليه ولم يقره. وكما

([92]).د. ك و.، الوحدة الوثائقية، ملفات وزارة الداخلية، تسلسل الملفة: 2178 / 32050، موضوع الملفة: بلدية الشطرة، فتحت بتاريخ 1918/7/22 واغلقت بتاريخ1918/8/31، و1، ص1.

([93])المصدر نفسه، و2، ص2.

يبدو ان التكلفة هي ثلاث اضعاف ويجب ان تقلل إلى نسبة معقولة. وان رئيس البلدية هو رجل تماماً لا يجد نفعاً ويجب ان لا يحصل على أكثر من (50) روبية "[94].

وإشارة إلى المذكرة التي رفعها هيسم مساعد الضابط السياسي في الشطرة المؤرخة في 24 آب إلى ديكسون الضابط السياسي للناصرية بشأن إنشاء المجلس البلدي.فقد جاء رد الأخير عليه بمذكره مؤرخة في 31 آب 1918 بـ"ان المجلس الذي عزمت على إقامته في الشطرة يكلف (900) روبية كل شهر , بينما في مدن اخرى من الولاية تكون التكلفة اقل شهريا ففي السوق (840) روبية والقرنة (395) روبية وقلعه صالح (365) روبية وقلعه سكر (280) روبية والناصرية(1425) روبية. ان الاختلاف واضح وليس لدي الرغبة في ان اضع الضابط السياسي المساعد في الكادر الضروري والمهم، لكنني أؤكد الرأي ان البلديات يجب ان لا تتجاوز الحدود العامة ". وفضلا عن ذلك فـ" ان الشطرة ليس فيها مجرى مائي دائمي ولهذا فهي بشكل مستمر تكون مديونة. وهذا ما يزيد التكاليف بالوقت الذي يكون فيه الاقتصاد مهم جدا وضروري , وان هذا المكان يكون غير مناسب في الظرف الحالي. وهذا حال أي مدينة في بداية الاحتلال، لكن يبدو لي ان من الأفضل إقامة أعمال بدائية للتنظيف وغيرها على أساس العقد، وإنهاء هذه الأشياء أفضل من الارتباط بشكل دائمي، خاصة إذا أصبح المكان نظيفا "[95]. لكن في نهاية المطاف أبدى الحاكم البريطاني للمنتفق موافقته على مايلي[96]:

كناس عدد (1)	**20 روبية**
مراقب بلدية عدد (1)	**30 روبية**
جاويش (عريف)عدد (4) لكل منهم 25 روبية	**100 روبية**
حمال عدد (62) لكل منهم 20 روبية	**1240 روبية**
شاعل مصابيح عدد (1)	**35 روبية**

([94])المصدر نفسه، و5، ص7.

([95])المصدر نفسه، و4، ص6.

([96])المصدر نفسه، و3، ص4.

المجموع 1425 روبية

كما أوضح مساعد الضابط السياسي للشطرة في مذكرةٍ أخرى بـ" انه قد يحتاج إلى الاحتفاظ بشكل عام حضور مدوني السجن، لسد احتياجات السجن المدني ويكونوا مسؤولين عن سلامة السجن وإطعام السجناء واختيار مفارز ودوريات الشرطة، وتوزيع الأعمال بشكل عام،والمحافظة على مركز الشرطة..". وأضاف ايضاً بـ"ان السيد حسين افندي قد عمل بشكل جدي واستثنائي للحصول عل قوة الشرطة العائدة لي وجمعها وتدريبهم بهذا الشكل، ولهذا السبب فإنني اشعر ان من غير العدالة ان أكون مسؤولاً عن عمله.. ان الموافقة يجب ان لا تكون ممكنه الاعتبار فيما يخص هذه النقطة في(100) روبية شهريا واني التمس تسجيل الموافقة على(80) روبية شهرياً"[97].

وجاء في نفس المذكرة لهيسم التي رفعها إلى الضابط السياسي في الناصرية بـ"ان حصة رئيس البلدية (80) روبية شهريا قد دفعت قبل وصولي إلى الشطرة ومطالبتي بذلك.وهذه الحصة على أية حال سوف تقلل أو قللت إلى (50) روبية شهريا اعتبارا من الشهر الحالي"[98].

وعلل هيسم إصراره الواضح في طلباته من الإدارة البريطانية بعد ان التمس العذر للموافقة على إقرار الوظائف السابقة الذكر، لكي تعمل في مكان جديد وهو أكثر صعوبة، مما يظهر لأول وهلة، فالعمل يحتاج إلى كادر متكامل، وان نقص واحد قد يعرقل العمل فان العوائق التي نتجت عن سوء الإدارة العثمانية ولمدة (40)عاماً التي ظهرت بوضوح في الشطرة، قد تزداد سوءاً إذا ما حاول احدهم الإعاقة من خلال توفير كادر غير ملائم[99].

ونتيجة للجهود الحثيثة التي بذلها هيسم مساعد الضابط السياسي في الشطرة من اجل خلق جهاز إداري كفوء، وتوفير كادر وظيفي منضبط، وتشكيل نظام إداري مدني في الشطرة. وعلى

([97])المصدر نفسه.

([98])المصدر نفسه.

([99])المصدر نفسه.

هذا الأساس أرسل المندوب المدني في البصرة مذكرة بتاريخ 31 آب 1918 يوضح فيها بان الموافقة حصلت على استخدام الوظائف في مجلس بلدية الشطرة نافذة المفعول اعتباراً من الأول من حزيران عام 1918وهي على الوجه التالي[100]:

المؤسسة	العدد	معدل الراتب	الإجمالي
رئيس بلدية	1	80 روبية	80 روبية
كاتب	1	40 روبية	40 روبية
مختار	2	30 روبية	60 روبية
جاويش	1	30 روبية	30 روبية
كناس	10	20 روبية	200 روبية
مكاري	10	25 روبية	250 روبية
شاعل مصابيح	2	25 روبية	50 روبية
منادي البلدة	1	10 روبية	10 روبية
المجموع			720 روبية

وفيما يلي جدول بأسماء موظفي بلدية الشطرة لعام 1918[101]:-

الوظيفة	اسم الموظف	تاريخ التعيين	قيمة الراتب

([100])المصدر نفسه، و5،ص9.

([101])د.ك و. الوحدة الوثائقية، ملفات الاحتلال البريطاني، تسلسل الملفة: 2/177، موضوع الملفة: الشؤون البلدية، ميزانية المنتفك، فتحت في عام 1919/2/26 واغلقت بتاريخ 1920/2/26، و3، ص15.

رئيس البلدية	حسين افندي	1918/7/1	80 روبية
كاتب	زوين افندي	1918/7/1	40 روبية
المختارين	الحاج فاضل	1918/7/1	30 روبية
	الحاج عباس	1918/7/1	30 روبية
جاويش (عريف شرطة)	-	-	30 روبية
مكاري	عدد (10)	_	250 روبية
شاعل فانوس	عدد (2)	-	50 روبية
منادي المدينة	عدد (1)	-	10 روبيات

وسوف نوضح في هذا الصدد الملاكات الإدارية في قضاء الشطرة في عام 1918 كان يتألف مما يأتي[102]:

الدائرة أو القسم	الوظيفة	الراتب
1-دائرة مساعد الحاكم السياسي	أ- مساعد عراقي	200 روبية
	ب- رئيس كتّاب	150 روبية
	ج- محاسب	175 روبية
2- الواردات	أ- محاسب الواردات	120 روبية

([102])د.ك و، الوحدة الوثائقية، ملفات وزارة الداخلية، تسلسل الملفة: 2178/ 32050، رقم الملفة: 57/132، موضوع الملفة: بلدية الشطرة، فتحت بتاريخ 1918/7/22 واغلقت بتاريخ1918/8/31، و5، ص9؛

"Reports of Administration for 1918", Vol. I, P.411.

	ب- أمير البحر	100 روبية
	ج- مستخدمان الأول 30 روبية والثاني 25 روبية	55 روبية
	د- قهواتي	25 روبية
	هـ - كناس	20 روبية
	و- عامل بريد	15 روبية
3- الشرطة	أ- كاتب	100 روبية
	ب- جاويش(عريف شرطة)عدد (2) لكل واحد منهما 45روبية	90 روبية
	ج- اونباشي(شرطي اول) عدد (2) لكل واحد منهما 35 روبية	70 روبية
	د. شرطة عدد (24) لكل واحد منهما 30 روبية	720 روبية
4- التعليم	أ- معلم عربي	180 روبية
	ب- معلم عربي ثان	85 روبية
5- البلدية	أ- رئيس البلدية	80 روبية
	ب- كاتب	40 روبية
	ج- مختار عدد (2) لكل واحد منهما30 روبية	60 روبية
	د- جاويش (عريف شرطة)	30 روبية
	هـ - حمّال (مكاري) عدد (10) لكل واحد منهم 25 روبية	250 روبية
	و- كناسون عدد (10) لكل واحد منهم 20 روبية	200 روبية
	ز- عامل الإنارة الضوئية عدد (2) لكل واحد منهم 25 روبية	50 روبية
	ط - منادي المدينة	10 روبيات

ولتوضيح بعض الحقائق الواردة في فقرات الجدول أعلاه لابد من القول ان أفضل الوظائف التي كان يشغلها العراقيون هي وظيفة مساعد لمساعد الحاكم السياسي ورئيس بلدية ومعلم وكاتب، في حين ان البريطانيين شغلوا معظم الوظائف الأخرى، ولم يكن نصيب العراقيين منها سوى اشغال مهنة كنّاس او حمّال او عامل بريد او شرطي خيال. ومن اجل اخضاع بعض القبائل في المنطقة فقد عملت السلطات البريطانية على توحيد قيادتها مع بعض رؤساء تلك القبائل خاصة أولئك الذين يشغلون مناصبهم بمساندة وتأييد البريطانيين، حين قام الشيوخ الذين يعملون تحت إمرة الضابط السياسي بحراسة طرق المواصلات والإسهام في بعض الأعمال الإدارية والقضائية(103).

كانت الشطرة في ظل الاحتلال البريطاني قضاءاً من أقضية لواء المنتفق. وكان هذا القضاء يتكون إدارياً من ناحيتين هما سويج الدچة ـ يسمى حالياً ناحية الغراف ـ والدواية. فقد ذكر هيسم في تقريره الإداري بالنسبة لسويح الدچة " انني لاظن انه من المستحسن إنشاء دائرة للبلدية في السويج، إذ ان كل الترتيبات الخاصة بذلك متروكة لمدير الناحية (طاهر آل زيارة) الذي يتمتع بحيوية كبيرة وحركة دائبة، وهو يحافظ على الأسواق والشوارع نظيفة بشكل مدهش وهو الآن مشغول بإنشاء سداد تقوية على ضفتي النهر تحسباً للفيضان". وأثنى هيسم في تقريره على طاهر آل زيارة عندما ذكر "أود تسجيل وتوثيق تقديري الكبير لأعمال طاهر. وهو لحد الآن لم يسند اليه منصب مهم، لكن أعماله كانت دائماً جيدة ودقيقة. وهو يستحق اجر أعلى وأود أن أرى حيويته وأعماله تكافأ بشكل جيد"(104).

اما بالنسبة لناحية الدواية فقد ذكر هيسم في تقريره بـ "ان هذه المدينة هي اكبر من السويج، لكن طبيعتها وبيئتها عشائرية جداً. بحيث انه في ذلك الوقت لايمكن ان يجري أي شيء عدا العمل على استقرار وتهدئة العشائر. وهذه المدينة ليست نظيفة مثل السويج، وان واقع مجتمعها العشائري يجعل أعمال التنظيف والقضايا الصحية صعباً بصورة كبيرة "(105).

---

(103) علي ناصر حسين،المصدر السابق، ص131.

(104)"Reports of Administration for 1918", Vol. I,P. 386.

(105) Ibid, PP.351- 387.

اما بالنسبة إلى إدارة بلدية ناحية الدواية التابعة إدارياً لقضاء الشطرة للمدة(1919–1920) فكانت تتكون بشكل عام مما يلي[106]:

الوظيفة	مهمته	الراتب
المختار	مختارين لكل واحد منهم 25 روبية لمدة ثلاثة أشهر	50 روبية
	مختار عدد(1) لمدة ثمانية أشهر	25 روبية
الإنارة	شاعل فانوس لمدة ستة أشهر	15 روبية
النظافة والتنظيف	ثلاثة منظفين لكل منهما 20 روبية لمدة 11 شهر	60 روبية

2- تعيين شيوخ العشائر في المؤسسات الحكومية:

لقد سعى البريطانيون إلى إقامة نظام دكتاتوري للضباط السياسيين في العراق، وعملوا أقصى ما في وسعهم على محو أي اثر للإدارة الذاتية، ولم يكن هدف المحتلين من جذب شيوخ القبائل ورجال الدين والوجهاء للقيام بأعمال الإدارة، إلا رغبة منهم في منح الجهاز الإداري مظهراً أكثر مرونة[107]. فقد برز الاهتمام من قبل للسلطات البريطانية بإنشاء مؤسسات للإدارة في المناطق التي تقطنها القبائل، فقررت إنشاء نظام جديد للإدارة يقوم على أساس التنظيم القبلي – العشائري، وأيضاً يقوم على احترام العادات والأعراف العشائرية وعلى إسناد شيوخ العشائر باعتبارهم أدوات لتنفيذ سياستها[108].

([106]) د.ك و، الوحدة الوثائقية، ملفات الاحتلال البريطاني، تسلسل الملفة: 2/479، موضوع الملفة: الشؤون المالية لبلدية الناصرية، تقارير قوائم حسابية، فتحت في 1919/2/16 وأغلقت في 2/16 /1920، و14، ص16.

([107])ل. ن. كوتلوف، ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق، ترجمة عبدالواحد كرم،بغداد، 1985، ص ص129-130.

([108]) محمد توفيق حسين، عندما يثور العراق، بيروت، 1958، ص144؛ عبدالرزاق الهلالي، الهجرة من الريف إلى المدن في العراق، بغداد، 1958، ص45.

فقد عدّت الإدارة البريطانية سلطتها وهيبتها تتطابقان مع سلطة وهيبة الشيوخ، فقد ورد في تقرير رسمي منذ الأيام الأولى لوصول البريطانيين إلى المناطق العشائرية العراقية، فان من البديهيات المسلم بها انه لأجل إدارة العشائر بشكل صحيح، كان من الضروري ان يتم ذلك مباشرة عن طريق شيوخها[109].

كان الاهتمام الأول لسلطات الاحتلال البريطاني كما يقول ايرلاند تأسيس الحكومة في المناطق العشائرية لنشر الأمن والاستقرار في ربوعها. ان تحقيق هذه الغاية تأتي عن طريق استخدام الرؤساء الاعتياديين للقبائل وهم(الشيوخ)، ولهذا فقد حصرت الجهود من اجل تأسيس إدارة وقضاء مبنيين على الأصول العشائرية وقريبين من المقاييس الأوربية على قدر الإمكان. وذلك بالاعتراف بعادات العشائر وطباعهم وبالاستناد إلى الشيوخ كوساطة بين عشائرهم والحكومة[110].

لقد دأبت السلطات البريطانية على إتباع سياسة القوة والعنف مع شيوخ العشائر تارة, وسياسة الأغراء والمساعدات المالية والمجاملات المعسلة تارة أخرى , فقد واصلت هذه السلطات ملاحقاتها للشيوخ المناوئين لها في المنطقة، ومارست ضدهم أساليب مختلفة من الاضطهاد العنيف , ومصادرة الأراضي وفرض الغرامات الجماعية, وشن الحملات التنكيلية , وغيرها من الأساليب التعسفية الأخرى التي نجد منها شواهد عدة في تقارير الحكام السياسيين[111]. فمثلا بالنسبة للشيخ علي آل فضل شيخ عشيرة خفاجة الذي رفض إعلان ولائه للإدارة البريطانية , بعد احتلال الناصرية في 25 تموز1915, حاصر البريطانيون عشيرته , وأصبحت حالة سكانها كما قال احد الحكام السياسيين بـ " انها أخذت بالموت تدريجيا بسبب عملية تغرين نهر الشطرة". مما أجبر الشيخ علي آل فضل في نهاية المطاف على الالتحاق في ركب الإدارة البريطانية[112].

([109]) وميض جمال عمر نظمي، ثورة 1920.الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية "الاستقلالية" في العراق، ط2، بغداد، 1985، ص278.

([110]) ايرلاند، المصدر السابق، ص ص56-57.

([111]) علي ناصر حسين , المصدر السابق، ص122.

([112])"Reports of Administration for 1918", Vol. I, P.382.

وقد كان الرائد ديكسون أكثر دقة وصراحة عندما كتب في تقريره الإداري لعام 1918 بـ "اعتقادي إن فكرة الراتب الشهري , تعد سبباً رئيساً في سيادة القانون والنظام بشكل رائع في أنحاء المنتفق كافة. وأن التكاليف الكلية لمثل هذه المعونات لم تكن مهمة , ومهما بلغت قيمة النفقات فإنها تقارن عادة بالنتائج العظيمة التي يمكن الحصول عليها من جراء هذه السياسة". وكتب أيضاً يقول: "لقد حاولت خلال السنوات الثلاث والنصف الأخيرة أن اجعل السلطة في كل عشيرة مركزه في يدي شخص واحد وهذا الشخص هو الشيخ، وتقوم الحكومة باختياره في كل حالة"[113]. إذ كان الراتب الشهري الذي يتقاضاه الشيخ الذي يشغل وظيفة مدير ناحية هي (200) روبية شهرياً في اغلب الأحيان، ولكن مع ذلك فقد كانت الرواتب تختلف بين شيخ وآخر، حسب أهمية الناحية التي يديرها أو الوظيفة التي يشغلها[114].

وكانت الدوافع الكامنة وراء هذه السياسة إزاء المساعدة المقدمة للشيوخ الذين تم كسبهم إلى جانبها، فأن الإدارة البريطانية تطلب منهم أو تطالبهم بخدمات معينة ومسؤوليات متعددة لقاء منح مالية، وتنحصر هذه المسؤوليات كما حددها الميجر ديكسون حاكم الناصرية السياسي في تقريره السياسي الإداري لعام 1918، بجمع الضرائب التي يقررها الحاكم السياسي، والمحافظة على القانون،والنظام في القبيلة، وحسم المنازعات الصغيرة التي تحدث ضمن حدود القبيلة، ويحيل الكبيرة منها على الحاكم السياسي أو إلى احد مساعديه، وإرسال الفلاحين عند الحاجة إليهم للعمل في المشاريع الحكومية، وتحصيل الإيجارات السنوية وتسليمها إلى مالك الأرض، وحماية المسافرين والممتلكات الحكومية والمساعدة في صيانة المواصلات والبرق والهاتف واعتقال وتسليم المخالفين، وإعلان الولاء العام للحكومة، والمساعدة في إقامة علاقات طيبة بين فروع العشائر الكبيرة[115].

([113])Ibid.,P.351.

([114]) علي ناصر حسين , المصدر السابق , ص116.

([115]) وميض جمال عمر نظمي، المصدر السابق، ص ص279-280؛ علي ناصر حسين، المصدر السابق،ص ص119-120؛

"Reports of Administration for 1918 , Nasiriyah Division" , Vol. I, P. 351.

هذه السياسة جلبت نتائج ايجابية للبريطانيين وازدادت الإيرادات بمرور الزمن، من خلال الضرائب المفروضة على المحاصيل الزراعية، فقد خطى البريطانيون خطوات سريعة نتيجة للسياسة الاقتصادية التي انتهجوها في هذه المقاطعة، إذ بلغت واردات الشطرة في الأعوام 1918-1920 بالروبيات كما يلي[116]:

1919 -1918	1920 -191	لمجموع
38,624	3,061,91(	4,000,534

أما بالنسبة للأساليب المستخدمة لتنفيذ هذه السياسة، فان الإدارة كانت تدرك ان سلطة الشيخ غير قادرة على تحقيق هذه المطالب. ومن ثم فقد تقرر تعزيز هيبته عن طريق أسلوبين آخرين (ماعدا الإسناد الحكومي المباشر)، وهما المخصصات المالية وإدخال نظام دعاوي العشائر، وكانت المخصصات المالية للشيوخ تتخذ أشكالاً متعددة: كالإعانات والهبات والرواتب والتنزيلات والتنازلات وحصة من الواردات المجباة[117].وبموجب سياسة الاعتراف بشيخ واحد يكن مسؤولاً أمام الإدارة البريطانية عن نظام الأمن والسلم في قبيلته والقبض على المجرمين , وجمع الضرائب , وتنفيذ أوامر الإدارة البريطانية والمحافظة على منشآتها , فقد تم تخصيص رواتب شهرية لعدد من الشيوخ , من دون أن تكون لهم وظائف إدارية , وكانت تحت عنوان (مساعدات مالية)[118]. ومن بين هؤلاء الشيوخ علي آل فضل شيخ عشيرة خفاجة، إذ خصصت له الإدارة البريطانية (200) روبية[119]. ويكفي في هذا الصدد الإشارة إلى ان خلال عام 1919 كان شيوخ الشطرة يتسلمون مبلغ (125) روبية شهرياً. فقد كان الشيخ خيون آل عبيد يتقاضى

---

[116]Ghassan R. Atiyyah, Iraq 1908-1921, A Socio-Political Study, Beirut, 1973,P.243.

([117]) وميض جمال عمر نظمي، المصدر السابق، ص280.

([118]) علي ناصر حسين , المصدر السابق ص117.

([119]) د.ك.و ,الوحدة الوثائقية , ملفات وزارة الداخلية، تسلسل الملفة: 32050/2099، موضوع الملفة: تقرير الإدارة، فتحت بتاريخ 1917/4/18 واغلقت بتاريخ 1917/12/31 , و27، ص117.

راتباً مقداره (500) روبية شهرياً[120]؛ نظراً لأهمية الشطرة من الناحية الاقتصادية , لأنها كانت تضم عدداً كبيراً من القبائل التي برهنت على قوة شكيمتها وشدة بأسها.

كما عينت الإدارة البريطانية في الوقت نفسه عدداً من الشيوخ بوظائف إدارية مختلفة، ففي عام 1918 عينت الشيخ صكبان العلي من شيوخ خفاجة قائد لقوة الشبانة في الشطرة[121].

ويلاحظ ان الإدارة البريطانية سلكت مسلكاً رائعاً من وجهة نظرها، عندما سعت الى إشراك شيوخ العشائر في الحكم، ويبدو ان الغاية من وراء تلك العملية هي الحفاظ على القانون والأنظمة الإدارية وفق تعليمات الإدارة البريطانية هذا من جهة، ومن جهة أخرى هي القبض على المناوئين للحكومة البريطانية، وكذلك تسوية النزاعات العشائرية وحماية الطرق والمؤسسات الحكومية من جهة ثالثة[122].

اما فيما يتعلق بنظرة رؤساء العشائر إلى البريطانيين بعد الاحتلال فيمكن القول" انه لما احتلت الجيوش البريطانية لواء المنتفق، قاموا بمنح امتيازات لرؤساء العشائر ومتنفذي الأموال الطائلة، رفعت مكانتهم جلياً لطلبهم نحوها وتساهلت معهم بجباية الضرائب تساهلاً مفرطاً، ووفرت نقودها الوافرة في الأسواق لابتياع الحاجيات اللازمة للجيش، ومثلها بيد القبائل كابتياع الحبوب والمواشي وسواهما. ورأى أولئك الرؤساء هذا الدور الذي فتح لهم باب الرفاه ونفوذ الكلمة لم يسبق له في ماضيهم مثيل، لذلك فإنهم كانوا ينظرون إلى البريطانيين نظرة ودية نسوا فيها ما تلقونه بالإرث من حس النقرة ضد الطوائف غير المسلمة، حتى ان الرئيس الذي كان يستدعيه الحاكم السياسي أو العسكري إليه ويصافحه يتخذ من مصافحته مفخرة كبرى ويخرج منه مغتبطاً مسروراً.... ولقد تواطأ بعض الرؤساء مع السلطات العسكرية البريطانية قبل احتلالها ديارهم بمجرد ان نالوا منها شيئا من المال بواسطة بعض المنتسبين إليهم أو وعداً يشير إلى

([120]) وميض جمال عمر نظمي، المصدر السابق، ص ص280 -281.

([121]) د.ك.و.الوحدة الوثائقية , ملفات البلاط الملكي , تسلسل الملفة: 311/1157، رقم الملفة: د8, موضوع الملفة:التقارير الحكومية، فتحت بتاريخ 1932/11/19 واغلقت بتاريخ 11/1/ 1933، و34، ص99.

([122]) " Report of Administration for 1918",P.375.

ترقية حالتهم وإكرامهم فيما إذا احتلوا مناطقهم فسهلوا بذلك عليها سبل تفوقها العسكري على الجيش العثماني"[123].

وتذكر المس بيل في هذا الصدد بـ "أن معاوني الحكام السياسيين كانوا يعينون من العرب في معية حكام المناطق السياسيين، وكان يحل محل معاون الحاكم السياسي البريطاني في كثير من الحالات وكيل معاون حاكم سياسي عربي يدير وحدته الإدارية وهو يتابع مباشرته لمركز النقطة، على ان هذه الابتكارات لم تقترن بالنجاح دائماً... ولنضرب لذلك مثلاً بقضية وقعت مؤخراً، فقد تسلمت السلطات البريطانية في آذار 1920 عريضة من شيوخ بني سعيد من منطقة المنتفق، يذكرون فيها بانه لما كنا الآن قد أصبحنا تحت حماية بريطانيا العظمى نسترحم ان يتولى شؤوننا معاون الحاكم السياسي في الشطرة مباشرة، إذ يكفي ما كابدناه على يد المأمورين العرب، ولذلك فإننا نأمل ان بريطانيا العظمى سوف لاتخيب أملنا في عدالتها وسوف تحيل شؤوننا إلى معاون الحاكم السياسي رأساً"[124]. ولا شك ان الذي كان ينظم هذه الطلبات الموظفون البريطانيون أنفسهم أو العراقيون من أذنابهم.

وهناك مشكلة أخرى تنطوي في كون الموارد التي كانت السلطات البريطانية تستمد منها ما تحتاجه من الموظفين الوطنيين، كانت لا توجد بين عشائر المناطق الريفية من يقرأ ويكتب، إلا إذا وجد بالصدفة سيد من السادة أو كاتب من كتاب الشيوخ. أما الشيخ نفسه فهو أمي عادةً[125].

وبعد ان تم للجيش البريطاني احتلال العراق عام 1918، رغبت القيادة العامة في المحافظة على مصالح الإدارة البريطانية العسكرية حفظ مؤخرة الجيش بعد ان سنت نظاماً خاصاً لإدارة المناطق العشائرية قيل فيه انه مستمد من نظام الحكم الذي أنشأه وطبقة في بلوجستان عام 1875 السير روبرت ساندمان (Sir Robert Sandeman) الذي يوصف بأنه إداري استعماري كبير. وكان هذا النظام يقتضي تقوية النظام العشائري تحت رئاسة الشيوخ تابعين

([123]) د.ك و، الوحدة الوثائقية، ملفات البلاط الملكي، تسلسل الملفة: 1157/ 311، موضوع الملفة: تقارير حكومية، و34، ص98.

([124]) بيل، المصدر السابق، ص ص390 -391.

([125])المصدر نفسه، ص391.

لإرشاد وسيطرة الضباط السياسيين البريطانيين فوضع أسس هذا النظام الجديد السير هنري دوبس(Sir Henry Dobbs)[126] في شباط 1916 لتعزيز المشيخة وإشراك شيوخ العشائر في الحكم. ويوضع نظام خاص لحسم المنازعات المدنية والجزائية بين أفراد العشائر وفق العادات والتقاليد العشائرية ولتنفيذ هذه الأهداف جميعاً اعترفت الإدارة رسمياً بشيوخ العشائر وعززت من مكانتهم بكل الوسائل الممكنة[127].

فالملاحظ ان الإدارة البريطانية سلكت مسلكا رائعا من وجهة نظرها، عندما سعت لإشراك بعض شيوخ العشائر بالحكم، فعلى سبيل المثال عيّن الشيخ طاهر آل زيارة مديراً لناحية السويج في قضاء الشطرة بتاريخ 16 تموز 1918، وكذلك عين عبدالكريم الحمداني معاون مساعد

([126])هنري روبرت كونري دوبس (1871– 1934): يذكر عنه ايرلاند بأنه يسمى بحق احد منشئي العراق الحديث فقد تقلد مناصب مختلفة مهمة في الهند وايران وافغانستان. وتعرف **"بنظام ساندمان"** عندما كان معتمدا للواردات العدلية في بلوجستان في أعوام 1909و1911و1917. وكان في الخدمة كمقيم في بلاد العرب التركية عندما أعلنت الحرب عام 1914، لكنه اشرف على تنظيم الإدارة في 1915- 1916 عندما كان معتمدا للواردات، حين كان السير برسي كوكس رئيساً للحكام السياسيين يوسع مجال علاقاته مع العرب. ولما كان كثير المواهب وإداريا من الدرجة الأولى جيء به في المرحلة الشاقة، كمندوب سياسي في بغداد بعد إحالة المندوب السامي الأول السير برسي كوكس على التقاعد 1923، فأظهر قابلية عظيمة في تفكيره الواقعي وشعوره العالي بالخدمة وإخلاصا متناهيا للإمبراطورية، كان يسيطر على جميع علاقاته بالعرب. وفي أيامه اجتمع المجلس التأسيس العراقي الأول عام 1924 فصادق على أول معاهدة عقدها العراق مع بريطانيا، وعلى أول دستور عراقي يسن في البلاد. ويروى انه كان خشنا في طباعه، لذلك لم يكن على وفاق مع الملك فيصل الأول حتى نقل من وظيفته عام 1929. ينظر: ايرلاند، المصدر السابق، ص53.

([127]) زكي صالح، مقدمة في دراسة العراق المعاصر، بغداد، 1953،ص ص 14- 15؛ عبد الجليل الطاهر، تقرير سري لدائرة الاستخبارات البريطانية عن العشائر السياسية،بغداد، 1958، ص ص 8-10؛ المر هولدين، ثورة العراق 1920، ترجمة: فؤاد جميل، بغداد، 1965، ص5.

الحاكم السياسي البريطاني في الشطرة بتاريخ 1 كانون الأول 1918. كما عينت إبراهيم البعاج في عام 1918 مديراً لناحية الدواية في عهد الكابتن هيسم[128].

وخلال سنوات الاحتلال أنجز الحكام السياسيون مسألة في غاية الأهمية وهي المحافظة على السلام في منطقة المنتفق، وان جهوداً كبيرة بذلت لإبعاد شبح الحرب القبلية عن طريق إعادة السلطة إلى شيوخ العشائر واستخدامهم لدى السلطات المحتلة. كما بذلت الإدارة جهودها كلها في سبيل حسم المنازعات القديمة، كما رفعت التقارير من قبل السلطات البريطانية التي تحث على إكرام الشيوخ المساندين لهذه السلطات عن طريق إطلاق أيديهم في المقاطعات التي يريدونها. وعلى سبيل المثال فقد حث تقرير رسمي لمشاور الناصرية على ضرورة " سماع شكوى الشيخ خيون العبيد في قضيته المتعلقة بمقاطعة الصديفة". كما طلب التقرير "تأمين كل التأييد لمثل هؤلاء الرجال"[129].

3- السلطة القضائية:

تُعَد السلطات القضائية ركنا أساسياً ومهما بالنسبة للجهاز الإداري داخل مدينة الشطرة، فقد خول نظام دعاوي العشائر الحكام السياسيين صلاحية عقد مجلس عشائري للنظر وفق الأسس والعادات العشائرية في جميع الدعاوي التي يكون احد أطرافها من افراد العشائر. بينما تولي قضاة الشرع فض النزاعات المتعلقة بالأمور الشخصية[130]. وفي الوقت نفسه خول النظام الحكام السياسيين سلطات قضائية كاملة للنظر في الدعاوي التي قد يكون من الأنسب إحالتها للتحكيم[131]. فقد نظمت بموجب الأسس الواردة في نظام دعاوى العشائر المدنية والجزائية الذي وضعه هنري دوبس عام 1915 على غرار " نظام جرائم الحدود الهندي". وعد ساري المفعول

([128])عبد الجليل الطاهر، العشائر العراقية، ج1، ص88.

([129])عماد احمد الجواهري، تاريخ مشكلة الأراضي في العراق 1914 – 1932، بغداد، 1978، ص ص137– 138. وهي أفضل وأدق كتاب بحث مشكلة الأراضي في العراق في الدراسات التاريخية لحد الآن وهي بالأصل رسالة ماجستير قدمت الى جامعة بغداد عام 1975.

([130]) ايرلاند، المصدر السابق، ص53.

([131]) وميض جمال عمر نظمي، المصدر السابق، ص281؛ كوتلوف، المصدر السابق، ص125.

من تاريخ تصديقه في 21 شباط 1916، من القائد العام للجيش المحتل بيرسي ليك(Percy) leak ونص على أن أي نزاع عدا نزاعات الأراضي يكون أحد طرفيه او كليهما من أفراد العشائر يحال من الحاكم السياسي للمنطقة التي حدث فيها النزاع الى هيأة قضائية عشائرية تنتخب بموجب العرف العشائري وتتألف من شيوخ أو محكمين عشائريين للبت في النزاع وفقا للعرف، وللحاكم السياسي القرار النهائي في المصادقة على الحكم، أو رفضه أو تحويله الى هيأة أخرى أو رفعه الى رئيس الحكام السياسيين أو الى محكمة للبت فيه[132].

ويذكر هيسم بهذا الصدد بـ "انه عند وصولي إلى الشطرة طلبت من الناس المتنفذين ان ينتخبوا أربعة أعضاء لتكوين مجلس قضائي (عشائري). وقد تم ذلك بالفعل وهم يجلسون في المجلس من ذلك الوقت ليوفون بالمتطلبات المذكورة، وانهم يشكلون على جميع الأصعدة مجلس من القضاة الفخريين وليست لديهم أية سلطة او صلاحيات، وان القضايا التي ترسل إليهم، يقومون بدراستها، والتحقيق فيها، ورفع تقرير مفصل عنها، ولايسمح لهم بالنظر والتحقيق في اية قضية ما لم ترفع اليهم من قبلي بواسطة مرجع معين. كما لايسمح لهم بإصدار أية أوامر تتعلق بحل أية قضية بدون الرجوع اليَّ. ويحدث أحياناً ان لايتفق احد هؤلاء مع المجلس بالرأي، لقد وجدت انه من المستحسن ان اتعامل مع اكثر القضايا الجرمية شخصيا، وهذا ينطبق على القضايا العشائرية والمدنية.... وان تنظيم النزاعات والقضايا المدنية والإجرامية مستمر لدينا ليفي بجميع الاحتياجات ويوجد هناك أعمال قضائية قليلة جدا تخص اهل المدينة فقط "[133].

كما يذكر كوتلوف في هذا المجال بـ "ان البريطانيين بادروا من اجل توثيق الروابط مع الإقطاعيين بتشكيل مجالس محلية في بعض المدن يقتصر واجبها على تقديم المشورة فقط"[134]. كما ان اللجنة العسكرية التي شكلها الحاكم العسكري في الناصرية أخذت على عاتقها النظر في قضايا السرقة ومخالفة التعليمات الإدارية، ومعاقبة المخالفين لها في الاقضية والنواحي على

---

[132] عبد الكريم البغدادي، نظام دعاوى العشائر، مجلة القضاء، العدد الاول، السنة الاولى، بغداد، 1993، ص ص206-207؛ بيل، المصدر السابق، ص51.

([133]) "Reports of Administration , 1918" ,P.387.

([134])كوتلوف، المصدر السابق، ص126.

وفق قانون الأراضي العراقية المحلية. اما المشاكل القبلية فكانت من اختصاص المجلس القبلي الذي شكله المحتلون بعد احتلالهم لمنطقة الناصرية في الأقضية والنواحي، كان يتألف من أربعة شيوخ في اغلب الأحيان يختارهم الحاكم السياسي واحد مساعديه[135].

ويذكر توماس في مخاطره ورحلاته خلال حاكميته الثانية لمدينة الشطرة عن السلطة القضائية التي كان يمارسها فيذكر بـ " انه خلال إقامتي المؤقتة في الشطرة كانت محكمتي من نوع قاضي درجة ثانية، إذ لديَّ صلاحيات مخولة في الحكم بالسجن إلى ستة أشهر، لكن إذا أصبحت حالة الحكم المخولة لدينا بالسجن إلى سنتين كحد أعلى أصبحت قضايا من الدرجة الأولى، ورغم ذلك نحن نهتدي ونستمع للعادات والتقاليد العربية التي غالبا ما تشكل القناعة لدينا"[136].

ونتيجة للطريقة التي تتبعها دائرة كاتب العدل في مسألة الديون، فقد قام احد أهالي الشطرة وهو (محمد ابراهيم الحاج عزيز) برفع معاملة الاحتجاج عن الديون المتعددة المعلومة والمدونة في سجلات دائرة كاتب العدل وقد طالب هذا الدائن بحقوقه في استيفاء مطالبه[137].

4- السجون:

بالنسبة للسجون في عهد الاحتلال البريطاني، فقد تقع مسؤولية وإدارة السجن المدني تحت امرة الحاكم العسكري وضابط بريطاني غير مفوض وخمسة حراس وحارسة تمثل جميعها هذه المؤسسة. اما بالنسبة للمتهمين الذين تتجاوز محكومياتهم سنة واحد يرسلون إلى سجن البصرة، ويرتدي السجناء بدلة خاصة وأرجل حديدية، ويشتغلون عادة في تسوية الطرق وبناء

([135])علي ناصر حسين، المصدر السابق، ص 126.

([136])Thomas , Op.Cit., P. 88.

([137])جريدة العرب، العدد الخامس، المجلد الثاني، يوم الاثنين 7 كانون الثاني 1918م الموافق 24 ربيع الأول 1336هـ، السنة الثانية، ص4.

السدود والحدائق والطابوق. وبسبب التغيرات المستمرة للمشرفين على السجن وللخدم؛ بسبب التحركات العسكرية وغيرها يعاني من الصعوبات(138).

وبمرور الزمن وخلال ممارسة الإدارة البريطانية سلطاتها في العراق بعد احتلاله عام 1918، فقد جاء في مذكرة صادرة من وزارة العدلية في بغداد إلى مدير واردات وزارة الداخلية مؤرخة في30تشرين الثاني1920 وجاء فيها بـ " ان الحاكم العسكري العام ليست له معرفة عن الأشغال التي تقوم بها محكمة نائب المساعد السياسي في الناصرية، اما التشكيلات فتظهر لأول وهلة انها واسعة توجد في ميزانية العدلية تعميمات لتشكيل محكمة صلح في الناصرية وكنا ننتظر فتحها، لكنا أحلنا ذلك بسبب المشاغبات التي حدثت اخيراً، اما فتح محكمة صلح سيرفع عن نائب الحاكم السياسي الأشغال المختصة في القضايا المدنية ومن المحتمل انه سوف يتخلص من أكثر الدعاوي. واني أرى لزوماً فتح محكمة الصلح في الناصرية"(139).

وقام مدير واردات وزارة الداخلية بإرسال مذكرة إلى الحاكم السياسي في الناصرية والمؤرخة في 24 ربيع الأول 1339هـ المصادف 6 كانون الاول عام 1920 يطلب منه إبداء رأيه وموافقته بخصوص فتح محكمة الصلح(140).

---

(138) F.O. 371 - 3407 X/M/07739. Report on the Administration of the Military Governorship of Nassiriyah from April Ist, 1916, to March 3lst, 1917 , Revenue Basrah Wailayt , P. 11.

وهي محفوظة في د. ك.و، موضوعها: وثائق مختلفة عن العراق، تسلسل الملف، 603، ضمن وثائق لندن.

(139) د.ك.و، الوحدة الوثائقية، ملفات وزارة الداخلية، تسلسل الملفة: 32050/1226، رقم الملفة: 88/27-1، موضوع الملفة: بلدية الناصرية، فتحت بتاريخ 1920/1/15 واغلقت بتاريخ 1921/1/24، و58،ص 85.

(140)المصدر نفسه، و59،ص86.

ويبدو ان الحاكم السياسي وافق على فتح محكمة الصلح في اللواء. وعلى هذا الأساس قام مدير واردات وزارة الداخلية بإرسال مذكرة إلى الحاكم السياسي في الناصرية، يطلب منه استخدام أربعة أشخاص، وتخصيص رواتب لهم من المبلغ الباقي الموجود عنده[141].

5- الشبانة (خيالة المنتفق):

لابد ان ننوه في هذا الصدد إلى جانب آخر من الملاكات الإدارية ألا وهو (الشبانة)[142]، ويسمى أحياناً (خيالة المنتفق). فبعد الانتصارات التي حققتها القوات البريطانية خلال عام 1917 – 1918وسيطرتها على مدينة الغراف والشطرة، فان البريطانيين عندما استقروا وثبتوا من سلطتهم في هذه المنطقة، قاموا بتشكيل لفيف من الخيالة لتهدئة الوضع الأمني فيها. فقرروا زيادة الشبانة عام 1918 إلى (400) مجند كان يقودهم ضابط بريطاني هو الملازم هيل، وكان ملاكه الإداري يتألف من ضابط بريطاني (بحري) يقود أربعة ضباط بريطانيين، فضلاً عن رئيس عرفاء وكاتب وهما من العراقيين، وكان في خدمة الملازم هيل أربعة عمال تنظيف (كناسيين) وأربعة سائقين وقهواتي واحد يتقاضى كل منهم راتباً مقداره (25) روبية او ما يقارب ذلك وهم غالبيتهم من الهنود والعراقيين[143].

قسمت الإدارة البريطانية قوة الشبانة إلى مجموعات او سرايا يديرها الضباط البريطانيون الرابعة، والتعاون مع أربعة ضباط عراقيين بعضهم آمر سرية وهم حازم آل مشاري (من اصل نجدي)، وصكبان آل علي شيخ قبيلة خفاجة، وياسر الناهي شيخ قبيلة عتاب وفيصل آل مشاري (من اصل نجدي)[144].

([141])المصدر نفسه، و55،ص82.

([142])الشبانة: هي كلمة فارسية الأصل معناها حراس الليل. وبنفس الوقت تعني المليشيات المحلية التي تكونت معظمها من افراد العشائر. ينظر: يوسف عز الدين، الشعر العراقي الحديث واثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه، القاهرة، 1965،ص67؛ فاروق صالح العمر، حول سياسة بريطانيا في العراق 1914-1921، بغداد، 1977، ص25.

([143])"Reports of Administration for 1918", Vol. I,P.357.

([144]) Ibid., PP.357-358.

فبالنسبة لخيالة المنتفق في الشطرة في زمن هيسم خلال عام 1918، فقد كان يوجد فصيلين من تلك الخيالة فيها بصفة دائمة ويقوم (100) رجل من هؤلاء الخيالة بحراسة وإدامة النقاط التالية[145]:

- **الدواية، شاويش (عريف شرطة) واحد و(10) رجال.**
- **السويج، شاويش (عريف شرطة) واحد و(10) رجال.**
- **نقاط الري،(حرس الاسوار) شاويش عدد(2) و 20 رجلاً.**
- **حراسة المساجين، شاويش عدد(2) و (20) رجلاً.**

بالإضافة إلى تلك القوة يذكر هيسم في هذا الصدد بـ " انه يوجد 60 رجلاً دائماً في الخارج تاركين معي قوة ضاربة تتكون من 40 رجلاً مستعداً في حالة شق عصا الطاعة من احد الشيوخ"[146].

وقد انخرط أبناء الشيوخ وأقربائهم في الجندرمة المحلية (الشبانة)، التي شكلت لأجل كبت استياء وسخط الجماهير الشعبية، وكان هدف البريطانيين من تجنيد أبناء الشيوخ في سلك الجندرمة هو الاستعانة بهم في الإدارة وتنفيذ السياسة الاستعمارية في مناطقهم[147].

وأثنى هيسم على مدير خيالة المنتفق في تقريره الذي ذكر فيه بـ" انه يجب ان اذكر الأعمال التي قامت بها خيالة المنتفق وخصوصاً التي قام بها صكبان بن علي آل فضل وفصيلة، ان صكبان جاهز دائماً للخدمة في أي وقت يطلب منه، ومهما كانت طبيعة العمل المكلف به، ان فصيلة هو أذكى فصيل في الكتيبة"[148].

([145]) Ibid., P.388.

([146]) Ibid.

([147]) كوتلوف، المصدر السابق، ص125.

([148])"Reports of Administration, 1918", P.357.

وقد وصف الشيخ صكبان آل علي في تقرير للإدارة البريطانية بما يلي: بـ" ان له شخصيته وأقوى من والده، وهو ضابط في خيالة المنتفق، وإلى حد بعيد وواضح، انه أفضل ضابط في الكتيبة"[149].

لقد كانت الواجبات الرئيسة لهؤلاء المجندين في المنتفق هي حماية طرق المواصلات النهرية والبرية بين الناصرية والشطرة وقلعة سكر والكرادي (الرفاعي حالياً)، وحماية خطوط التلغراف والسكك الحديد، وحفظ الأمن، وتطبيق القوانين، والأوامر الإدارية، والمساهمة في جمع الواردات، وتدمير قلاع بعض الشيوخ حين تجد السلطات البريطانية ان وجودها يتعارض مع مصلحتها، ومرافقة السجناء عند محاكمتهم[150].

وعلى اية حال كان الهدف الأساسي من تشكيل قوة الشبانة هو فرض الإدارة البريطانية أولاً ومعاقبة كل العناصر المناوئة لها ثانياً. وضمن هذا المفهوم يذكر مساعد الحاكم السياسي في الشطرة في تقريره السنوي لعام 1918، ما نصه "ان مهمة الشبانة في الشطرة هي إرجاع الشيوخ الأوغاد والأرذال وإخضاعهم للسيطرة البريطانية"[151]، وهو بذلك يفصح عن قيمة المهمة التي يؤديها هذا الجهاز القمعي، ضد الفئات المتذمرة والرافضة لإقامة أي نوع من أنواع العلاقات مع البريطانيين[152].

وكانت خطوة تشكيل الشبانة لها فوائدها، سواء بالنسبة للإدارة البريطانية او لتطور العراق. الا انه من المفارقات ان نجد هذه الخطوة لم تنجح في إعطاء الإدارة الوجه المحبب الذي كانت ترغب في الظهور به بين العشائر. والواقع ان افراد الشبانة كانوا معزولين ومحتقرين ومكروهين بين العشائر. وقد كتب المندوب المدني: " كان الناس يسمونهم (أي الشبانة) جهاراً

([149]) Ibid., P.383.

([150]) د.ك.و، الوحدة الوثائقية، ملفات وزارة الداخلية، تسلسل الملفة: 2099/ 32050، موضوع الملفة: تقرير الإدارة، و8، ص42.

([151])"Reports of Administration, 1918", P.388.

([152]) علي ناصر حسين، المصدر السابق، ص126.

بالكفّار في الشوارع، ويرفضون تقديم الطعام لهم في الأسواق والمقاهي، ويحطمون علناً الآنية التي يشربون منها، وكانت نسائهم يتجمهرن حول الثكنات، وينادين على ازواجهن واولادهن ليأتوا لحمايتهن ومكان البقاء مع الليفي يعني بالنسبة للكثيرين تبرؤ عشائرهم منهم"[153].

وكان الاشمئزاز الذي يقترن به اسم (الشبانة) كبيراً، في وقت من الأوقات إلى درجة ان الواحد منهم كان غالباً لايتلقى رداً إذا قال"السلام عليكم". ولهذا فان سياسة الإدارة البريطانية جعلت الشيخ في مركز موظف حكومي، وسمحت له بممارسة مهمات لا تختلف كثيراً عن المهمات التحقيقية والقضائية، إلا ان هذه السياسة كانت في النتيجة فاشلة وخطرة، فإنها فشلت في إيحاء النفوذ المتضائل للشيوخ، وأثارت سخط أفراد العشائر[154].

وكان الشيخ صكبان آل علي رئيس خفاجة عندما عينوه البريطانيين ضابطاً للشبانة يتقاضى راتباً شهرياً قدره (300) روبية[155].

6- شرطة المدينة: وهناك جانب آخر يمكن النظر إليه من الناحية الأمنية في الشطرة، الا وهو شرطة المدينة، فقد كان هيسم يذكر في التقرير الذي رفعه إلى المندوب المدني في بغداد بواسطة الضابط السياسي للناصرية مايلي: "ان قوة الشرطة في الشطرة تتكون من مفتش واحد وهو حسين افندي وجاويش (عريف) عدد (2) واونباشي (شرطي أول) عدد (2) و24 رجلا من الرجال مدربون تدريبا جيداً وهم أذكياء جداً بمظهرهم، وان واجباتهم هي واجبات عادية لرجال الشرطة وهم أكفاء لهذه المهمة"[156].

7- نظام الطابو وتشكيل لجنة التسوية:

([153]) ويلسون، المصدر السابق،ج2، ص299.

([154]) وميض جمال عمر نظمي، المصدر السابق، ص282.

([155]) د.ك و، الوحدة الوثائقية، ملفات البلاط الملكي، تسلسل الملفة: 1157/ 311، موضوع الملفة: تقارير حكومية، و34، ص99.

([156])"Reports of Administration, 1918",P. 388

اما بالنسبة إلى موقف الحكومة البريطانية المحتلة من نظام الطابو، فقد نظروا إليه نظرة ارتياب كبير وتتلخص المسألة بما يلي: هل سنقبل بسندات الملكية التركية وندعم حقوق حملّتها ام نأخذ الأمور على علاتها، فلا نساعد أصحاب الأراضي باسترداد أملاكهم المفقودة ؟ يجب علينا ان ندرك ان ثمة نوع من ثورة فرنسية مصغرة تجري في أرجاء المنتفق بأسره على مدى عشر سنوات او نحو ذلك، وهي ليست إلا ثورة القن على الطبقات المالكة للأرض، لا أكثر ولا اقل، بل ان التشبه اقرب فيما يتعلق بهذه الطبقات منهم ارستقراطيو الأرض والملاكون المتغيبون من سوء طراز وهم الذين استغلوا اقنانهم في الماضي بأقصى طريقة[157].

وفي آذار عام 1918، أكد الحاكم السياسي للناصرية ان الإدارة تواجه احد أمرين[158]:-

1- إذا كنا نريد السلم والهدوء في البلاد والتسوية السريعة لكل مشاكلنا، فعلينا ان نساعد الشعوب العربية بغض النظر عن حقوق الملاكين " ان ذلك سيجتذب جميع العشائر إلى جانبنا بالتأكيد".

2- إذا ساندنا (الملاكين)، فيجب ان نساندهم على الفور وحتى النهاية،الأمر الذي اخشى ان يثير حفيظة أفراد العشائر،وستكون النتيجة المحتملة هي الاضطرابات الدائمة، وتشكيل حاميات كبيرة، وحملات تأديبية متكررة، وكثير من المصاريف.

إلا ان الكابتن ديكسون أشار بعد ذلك إلى ان هناك (طريقتين وسطين) آخرين، كل منهما حسب رأيه يستحق الدراسة: الأول هو السماح للملاك بالاحتفاظ بحقوقه فيما يتعلق بأرضه فقط، ومنعه من التدخل في شؤونها على الإطلاق. اما الطريق الثاني فكان يتركز على اعتبارات قانونية وفقهية سليمة ومنطقية وذلك بدراسة سند الطابو لكل ملاك، ففي حالة كون كافة الحدود الأربعة مثبتة بوضوح،وكون الدونمات متوافقة مع المساحة الايكرية[159]، يُعد السند صحيحاً وتقوم الحكومة بتحصيل حقوق ذلك الملاك كاملة. اما اذا لم تكن الدونمات متوافقة مع المساحة

---

[157] Atiyyah, Op.Cit.,P.243.

([158]) وميض جمال عمر نظمي، المصدر السابق، ص267.

([159])الايكر: مقياس مساحة يساوي (4840) ياردة مربعة اي حوالي 4000 م2. ينظر: اسامة عبد الرحمن نعمان الدوري، الإدارة البريطانية في الانبار 1917- 1920 (دراسة وثائقية)، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية،المجلد (12)، العدد(6)، 2005، ص172.

الايكرية، ولم تكن علامات الحدود مثبتة كلها، فعلى الحكومة ان تتدخل وتقلص ملكية الملاك بما ترتئي، حتى تقتصر على شريط من النخيل على امتداد شاطئ النهر على مساحة (300) ذراع، مثلاً في عمق الارض البوار الواقعة خلفها. أمّا بقية الأرض التي سحبت بهذا الشك، فتسلم إلى افراد العشائر وتصدر لهم بها سندات الطابو[160].

وبوجه عام فان الأراضي التي كانت سائدة في تقسيم المنتفق خلال 1914 – 1921، بما فيها الناصرية والشطرة وسوق الشيوخ وقلعة سكر، كانت أراضي المفوضة بالطابو هي الشائعة[161].

ومع ذلك فقد كان من الضروري الاضطلاع بالمهمة الشاقة المعقدة لمحاولة تقصي الخط السياسي الذي اتبعته الإدارة البريطانية. فخلال الحرب كانت سياسة الإدارة هي المحافظة على الهدوء بين العشائر،عن طريق الإعانات الكبيرة والمساعدات وعدم جباية الضرائب. وبعد إعلان الهدنة وانهيار الامبراطورية العثمانية، طرأ تحول تام في سياسة الإدارة، فمثلاً قامت عشائر الغراف لوحدها ـ بعد سنوات طويلة من التحرر من كافة الضرائب ـ بدفع الواردات كاملة، كما دفعت للملاك حصة من المحصول، وفي عام 1919 تمت جباية حوالي 16 إلى 17 لك[162]من الواردات فقط[163].

وفيما يتعلق بلجنة تسوية مشاكل الأراضي في المنتفق للأعوام (1919–1920)، ففي أواخر عام 1920 شكلت السلطات البريطانية لجنة لتسوية مشاكل الأراضي في المنتفق وإقرار الحقوق النهائية للأراضي، يكون أساساً تعتمد عليه اللجنة في قراراتها، وقد وصل الكابتن ليفي(Livy)إلى لواء المنتفق، وقام بتحقيقات عامة في المنطقة، وبعد تدقيقه للسندات قسم الأراضي إلى قسمين[164]:

([160]) وميض جمال عمر نظمي، المصدر السابق، ص267.

([161]) المصدر نفسه، ص259.

([162]) اللك يساوي مئة ألف روبية.

([163]) وميض جمال عمر نظمي، المصدر السابق، ص268.

([164]) عماد احمد الجواهري، المصدر السابق، ص141.

أ- أراضي الملاكين الذين بحوزتهم سندات طابو وحجج صحيحة خالية من التزوير، تقوم الحكومة بجباية حصة الملاكين (7,5٪) من المحاصيل دون ان يتدخل الملاك بشؤونها الزراعية والاشتراك في تقسيمها.

ب- أراضي الملاكين الذين يعجزون عن اثبات او ابراز السندات الخاقانية تقوم الحكومة باستيفاء حق الملاكية (7,5٪) وتسجله أمانة في حساب الموقوفات ريثما يثبت الملاكون ادعاءاتهم امام السلطات المختصة.

اما لجنة التسوية فقد رأت إجراء ترتيبات مؤقتة تضمنت قيام الحكومة باستحصال (30٪) من المحصول وتسليمها إلى المالك المعترف به اصلاً وذلك فيما اذا عجز الفرقاء عن الاتفاق على صورة حال معينة. وإذا تأكدت ملكية المالك فتقوم السلطة باستحصال (50٪) من الحاصل وتسليمها للمالك مجردة اياها من التدخل في إدارة المقاطعة وفي حالة الاتفاق بين المالك والزارع من افراد العشائر فان اللجنة تصادق على الاتفاق – الا في حالات نادرة – خاصة بعد ان يصادق الحاكم السياسي عليه[165].

اما فيما يتعلق أحوال الزراعة في سنوات الاحتلال البريطاني وقبيل صدور قرارات هذه اللجنة، فكانت تتأثر بهذه المشاكل نظراً لعدم استقرار السلطات البريطانية على سياسة واحدة تجاه الملاكين، فإذا وجد الملاكون تأييداً من الحكومة تشددوا في اتفاقهم مع الفلاحين، اما إذا وجد الفلاحون ان الحكومة تقف موقفاً صلباً من الملاكين، فانهم يمتنعون عن الاتفاق مع الملاكين[166].

إلا ان تلك اللجنة جوبهت بقضايا معقدة منها وجود سندات حصل عليها بطرق غير مشروعة. كما وجدت في كثير من السندات جمل غامضة سجلت فيها مساحات تبلغ آلاف الايكرات على انها دونمين او ثلاثة تهرباً من دفع رسوم التسجيل[167].

([165])المصدر نفسه،ص ص141 – 142.

([166])عبدالله الفياض، مشكلة الاراضي في لواء المنتفك، بغداد، 1956، ص ص76-77.

([167])عماد احمد الجواهري، المصدر السابق، ص142.

كان حامل سند الطابو يَعد نفسه المالك الشرعي للأرض، وبالنسبة له كانت الملكية تنحدر بموجب السند الذي حصل عليه عن طريق دفع الرسوم المطلوبة، وكانت الحكومة سواء عثمانية أم بريطانية تتحمل مسؤولية (قانونية) نحوه ويفترض ان تساعده في جباية بدل الملاكية. اما الفلاح فكان ينظر إلى المسألة من زاوية مختلفة تماماً. فقد كان سند الطابو بدعة غير معترف بها، ولا تنبعث عن أي من مفاهيمه او تقاليده او واقع الزراعة الفعلية. ولذلك كان ينكر تماماً أهمية هذه (الورقة) ويشعر بالسخط العنيف ازاء أي حقوق مزعومة ناشئة عن هذا السند[168].

وفضلاً عن ذلك، فقد اتضح ان نظام الطابو في العراق لم يكن الا مهزلة بحته فطبقاً للمادة الأولى من قانون الطابو (الصادر في 7 رمضان 1274 هـ الموافق 21 نيسان 1858) بـ " انه لايجوز لأحد في المستقبل، لأي سبب كان، ان يمتلك أراضي حكومية إلا بموجب سند ملكية". ان قانون الطابو للتركات لم يكن يتفق تماماً مع الشرع ويعتقد ان هذا هو السبب الذي حال بين كثير من الناس الذين كانوا يزرعون ويمتلكون أراضي اميرية منذ مدة طويلة، وبين طلب تسجيل أراضيهم في دائرة الطابو. وكان ثمة سبب آخر هو الاحتيال الذي كان سائداً بين موظفي الطابو، والرسوم العالية التي كانت تتطلبها المعاملات، وهناك سبب ثالث، هو القيمة المنخفضة للسند، كضمان حتى في حالة الحصول عليه[169].

لقد شرعت السلطات البريطانية في المنتفق،بدراسة تصفية لسندات الملكية التي أصدرتها دائرة الطابو العثمانية، ولحقوق الملاكين المزعومة. وقد اتضح نتيجة هذه الدراسة انه لم تكن هناك حالتان متشابهتان، بل اكتشفت كل الحالات المتنوعة الممكنة. ومن ابرز تلك الحالات[170]:

أ- ملاكون يحملون سندات التملك، ولم يكونوا في الواقع قادرين على الحصول على مدخولات من العشائر.

([168]) وميض جمال عمر نظمي، المصدر السابق، ص ص264 – 265.

([169])المصدر نفسه، ص264.

([170])المصدر نفسه، ص263.

ب- ملاكون يحملون سندات تملك وردت فيها الحدود بشكل ظاهر يستحق , وبعض الحدود يمكن ان تعد شاملة لجزء واسع من العراق.

ج- ملاكون يحملون سندات تملك وردت فيها المساحات بأرقام ضئيلة جداً, في حين ان المساحة الحقيقية للملاك تمتد إلى مئات الايكرات.

د- ملاكون يحملون سندات تملك لم تذكر فيها اية مساحات على الإطلاق.

هـ- ملاكون لايحملون أي سندات تملك على الإطلاق.

وفضلاً عن ذلك، فقد ذكرت تلك السلطات بـ" انه في أماكن متعددة تم الحصول على السندات بشكل غير أصولي ابداً، وليس بموجب أحكام قانون الطابو. كما ان صياغة سندات التملك اشد ما تكون غموضاً. فثمة قطع تبلغ مساحتها آلاف الايكرات، في حين حددت مساحتها في السندات، دون حياء بدونمين او ثلاثة لمجرد التهرب من دفع اجور التسجيل كاملة للحكومة، كما ان الحدود غير قابلة إطلاقا للتنفيذ العملي موضعياً"[171].

ونود ان نضيف إلى هذه الصورة البالغة التعقيد، إلى حقيقة ان بعض الملاكين، ممن كانوا يحملون سندات التملك، قد حصلوا فعلاً في الاعوام السابقة للاحتلال البريطاني على مدفوعات لا بأس بها من العشائر، ومن جهة أخرى فان كثيرين من حملة السندات التي كانت اقرب إلى المشروعية، لم يستطيعوا ان يحصلوا حتى على جزء من مطالبهم[172].

([171])المصدر نفسه.

([172])المصدر نفسه، ص ص 263 – 264.

وفي الخامس من تموز عام 1919 اصدر جورج فلجر مكمن (*George McCman Folger*) وكيل قائد عام القوات البريطانية في العراق بياناً برقم(28) لتأكيد البيوع غير المسجلة لعام 1919، لأجل تسجيل معاملات البيع يجري تنفيذها بموجب القانون على شروط ابرزها[173]:

1- ان يكون سند البائع الخاقاني مسجلاً في دائرة الطابو.

2- ان يكون تاريخ عقد البيع قبل إعادة تشكيل دائرة الطابو في ذلك القضاء.

3-ان يكون عقد البيع مصدقاً من الحاكم السياسي،او معاون حاكم سياسي او حاكم عسكري.

4-ان يكون عقد البيع قد قدم إلى دائرة الطابو لأجل التصديق في ظروف ستة أشهر من تاريخ فتح دائرة الطابو، وتاريخ هذا البيان إذا كان قد فتح بعض دوائر طابو قبله.

ومن الجدير بالذكر ان ننوه بهذا الصدد انه بموجب القوانين العثمانية لا يصح بيع ملك (صرف) ولا ينفذ تنفيذاً قانونياً ما لم يسجل في دائرة الطابو وحيث ان عدة أقضية بقيت عدة أشهر بعد احتلال القوات البريطانية إياها من دون تشكيلات لأجل تسجيل المعاملات في الطابو ولذلك اخذ الحكام السياسيون ومعاونوا الحكام السياسيون والحكام العسكريون يصادقون على عقود بيع الأملاك المذكورة[174].

وقد عدل البيان الذي يحمل الرقم (28) من قبل مكمن نفسه من الثامن من تشرين الأول عام 1919 ببيان آخر الذي يحمل الرقم (42) ينص هذا البيان على ما يلي[175]:

1.يسمى هذا البيان بيان تأييد البيوع غير المسجلة (عدد2) لسنة 1919.
2.تستبدل الفقرة الثامنة من السند الثاني من بيان تأييد البيوع غير المسجلة.

([173])القيادة العامة لقوات الحملة البريطانية، مجموعة البيانات والإعلانات وغيرها التي هي الآن نافذة والمتعلقة بأهالي العراق وإدارتها الملكية والمصدرة من القائد العام وبتقويض منه من 11 آذار سنة 1917 الى 30 ايلول 1920، بغداد، 1936، ص ص 80 – 81.

([174])المصدر نفسه، ص80.

([175])المصدر نفسه، ص 178.

3.وان يكون عقد البيع مصدقاً من حاكم سياسي او معاون حاكم سياسي او حاكم عسكري او موظف آخر او عالم او شخص آخر مأذون بتصديق اوراق كهذه.

واخطر هذا البيان بما يلي:

ان شهادة من الحاكم السياسي للمتصرفية التي وقع فيها التصديق او من حاكمها العسكري بان احد الموظفين او العلماء كان مأذوناً بتصديق تلك الأوراق تقل بمقام بينه قاطعة بأن ذلك الشخص كان مأذوناً بذلك التصديق. كان أهم تطور طرأ على مسألة الأراضي في المنتفق خلال عهد الاحتلال البريطاني وحتى تأسيس الدولة العراقية، هو ابتداع البريطانيين لمفهوم التسوية، ورغم ان هذا المفهوم لم يكن يعني بالضرورة ان تسويات مشاكل الأراضي التي نشأت خلال عهد الاحتلال وتلك التي تمتد جذورها إلى العهد العثماني. وقد اعتمدت السلطات البريطانية في تسويتها لهذه المشاكل على الأساسين التالي[176]:

1. **نظم وقوانين الأراضي العثمانية والسندات والحجج التي نالها الأشخاص وفقاً لذلك.**
2. **أسس وتقاليد العرف المحلي للتصرف بالأراضي.**

ان اعتماد البريطانيين للعرف المحلي في التصرف بالأراضي يمكن ان يكون نتيجة مهمة ارتبطت بالتطور الجديد (التسوية)، على انه يجب ان يكون واضحاً بان الظروف التي كانت تحيط بالتسوية سواء تلك التي أنجزتها لجان التسوية او تلك التي انجزها الحكام السياسيون بمساعدة المجالس العشائرية، كانت تقرر مدى اعتماد المسؤولين البريطانيين على السندات العثمانية او العرف المحلي. وبعبارة اوضح: ان الخطط التي سار عليها المسؤولون البريطانيون في انجاز تسويات مشاكل الأراضي كانت تعتمد اعتماداً كلياً على علاقة أطراف النزاع بالبريطانيين. وقد ترتب على ذلك ان كسب اعوان البريطانيين من شيوخ العشائر وملاكي المدن النجاح في المشاكل التي بقيت معلقة فترة طويلة، كما خسر مشايعو العثمانيين والمعادون للبريطانيين وحتى المشكوك بولائهم للاخيرين، من شيوخ العشائر، وملاكي المدن حقوقهم في الأراضي مهما كانت قوة الحجج او السندات التي تؤيدهم[177].

([176])عماد احمد الجواهري، المصدر السابق، ص182.

([177]) المصدر نفسه، ص182 – 183.

وذكر هيسم في تقريره عن الطابو بـ " انه لا يوجد مأمور طابو في الشطرة. وعلى هذا الأساس لم تجبى أية مدخولات من مستندات سجل الطابو، وأنا ابحث عن مأمور ضرائب. كما انني اعتقد انه حان الوقت لتسجيل كل الممتلكات الثابتة في المنطقة"[178]. ونتيجة للمشاكل الناجمة عن مسألة الطابو في منطقة الشطرة، فقد بادرت الجهات المعنية في تقسيم المنتفق بفتح دائرة للطابو في هذه المدينة. ولهذا الأمر فاتحت الجهات الرسمية من المسؤولين عن الطابو في البصرة مسؤولين الطابو في بغداد. وجاء رد الأخيرين عن طريق مذكرة موجه إلى الحاكم المسؤول عن الطابو في البصرة بتاريخ 7 نيسان 1920 وهذا نصّها: " ان نائب المحاسب العام يطلب اسماء الموظفين المعينين في الوظائف المختلفة لا حاجة لإشغال هذه الوظائف ان لم تكونوا مستعدون خاصة في حالة الشطرة. وان عبد الجبار يمكن ان يعين مأموراً للطابو. إعلامي عندما تشغل المناصب بعد ان يصادق عليها"[179]. وقد قام مسؤول الطابو في البصرة بإرسال مذكرة إلى مدير الطابو في بغداد وذلك بتاريخ 12 نيسان 1920 وهي رداً للمذكرة أعلاه وهذا نصّها: "ان خدمات المسؤولين المدرجة أسمائهم أقرت ان يكونوا موظفين طابو في لواء المنتفق مع التواريخ المؤشرة إزاء أسمائهم. وسيعمل المسؤولين على استمرار العمل في الناصرية او سوق الشيوخ ووظائف المأمور والموظف الثالث سيبقى شاغراً حتى افتتاح مكاتب الطابو في الشطرة وقلعة سكر "[180].

وبدوره أرسل مدير الطابو في بغداد مذكرة إلى نائب المساعد العام المدني في بغداد بتاريخ 17 نيسان 1920 وجاء فيها: الأسماء وتواريخ التعيين[181]حسب الجدول التالي:

([178])"Reports of Administration, 1918",P.385.

([179]) د. ك. و،الوحدة الوثائقية، ملفات الاحتلال البريطاني، تسلسل الملفة:2/350، موضوع الملفة: طابو/البصرة/ الناصرية، فتحت بتاريخ 1917/4/23 وأغلقت بتاريخ 1920/12/22، و11، ص12.

([180]) المصدر نفسه، و11، ص12.

([181]) المصدر نفسه، و12، ص13.

الاسم	الوظيفة	تاريخ التعيين
احمد كمال افندي	مأمور	1920/4/1
قاسم افندي	كاتب حسابات	1920/3/1
عبدالجبار افندي	مستخدم	1920/4/10

وتلقى الحاكم السياسي في الناصرية مذكرة من حاكم طابو البصرة وذلك بتاريخ 21 نيسان 1920 ابلغه فيها موافقة الجهات الرسمية في بغداد والبصرة بتعيين الأشخاص الثلاثة الذين مرَّ ذكرهم في طابو لواء الناصرية. وانه سوف يعزز هذه القوة اكثر بتعيين مأمور واحد حالما تفتح مكاتب الطابو في الشطرة وقلعة سكر، ريثما يتم إعادة عمل التنظيم في الناصرية والسوق[182]. ان الإدارة البريطانية لم تكن مسؤولة عن إدخال نظام الطابو او الانظمة المتعلقة بالأرض، ومع ذلك فقد اخذ البريطانيون بالأنظمة العثمانية على علاتها، فضلاً عن ذلك حاول تطبيقها، وان هذا بدوره يزود السلطات البريطانية بفهم افضل للانتفاضة العشائرية في صيف 1920 وللعوامل التي مكنت الانتفاضة العشائرية من اكتساب طابع ودور وطنيين. فقد كانت الإدارة العثمانية تسير على مبدأ (فرق تسد) وكانت عاجزة عن وضع سياستها الضرائبية او العقارية موضع التنفيذ[183].

ثانياً: الأعمال العمرانية التي قام بها البريطانيون في الشطرة:

اما بالنسبة إلى الأعمال العمرانية التي قام بها البريطانيون في الشطرة، فيمكن القول بان الإدارة البريطانية كانت جديرة بالاهتمام بهذه الأعمال التي تضم مثل أعمال التنظيف وإقامة السدود والبريد والتلغراف وتجهيز المياه والصحة والتعليم وغيرها من الخدمات الاخرى.

1-أعمال التنظيف:

([182]) المصدر نفسه، و13، ص14، و 13 و ص15.

([183]) وميض جمال عمر نظمي، المصدر السابق، ص273.

وفيما يختص بأعمال التنظيف والعمران في الشطرة، فقد ذكر هيسم في تقريره الذي رفعه إلى المندوب المدني في بغداد بـ "انه عند وصولي إلى الشطرة فوجئت بوجود كثبان ضخمة بشكل تلال وفي بعض الحالات يصل ارتفاعها بين (15-20) قدم وتغلق الطرق العريضة، ويسرني ان أخبركم بان هذه التلول قد تم إزالتها تقريباً وبقي عدد قليل منها في مؤخرة المدينة. لقد تم ايضاً شراء مصابيح للشوارع واختفى مظهر شوارع المدينة المظلمة الكئيبة عند قدومي لأول مرة. ولقد قام رشدي افندي بترقيم البيوت قبل قدومي مباشرة وهو مساعد المعاون السياسي في الناصرية. ان عملية التحسينات والتطوير تسير تدريجياً، لكنها أكيدة في نتائجها"[184].

وفيما يخص نظافة وجرف الأوساخ من شوارع الشطرة، فذكر هيسم في صفحات أخرى من تقريره بـ "أنه حصلت تطورات وتحسينات كبيرة في المدينة، وان الطرق تبقى نظيفة، وتم بناء مزابل ترمى بها النفايات، ولم أجد ضرورة لبناء دورات مياه عمومية في المناطق العامة؛ بسبب توفر المرافق الخاصة في البيوت. ويمكن بناء مرافق عامة بعدد اثنين او ثلاثة حال ان تصبح العشائر أكثر تمدناً، وكذلك لم اقم ببناء أي محرقة لأن في الشطرة عدد كبير من الحفر تقع خلف المدينة التي يجب ان تمتلأ اولاً"[185]. وقدمت بلدية الشطرة في مدة الحاكم هيسم طلباً يتضمن بالموافقة على صرف مبلغ (950) روبية لإزالة أكوام النفايات في المدينة[186].

2- بناء سور الشطرة:

كما قام هيسم ببناء سور أحاط المدينة من جهاتها الأربع، بعد ان تم جرف تلول الأوساخ والازبال من شوارعها وميادينها ومهد طريقاً للسيارات إلى الناصرية بعد ان امن الطرق

([184]) "Reports of Administration , 1918" ,P.385.

([185])Ibid., P. 386.

([186])د. ك. و، وثائق الاحتلال البريطاني، تسلسل الملفة: 2/13، موضوع الملفة: البلديات في الناصرية، فتحت في 1918/2/3 واغلقت في 1918/9/1، و23، ص25.

الخارجية فلا حماية او تسيار مع المسافر[187]. كما يمكن القول بان عقلية التحسينات والتطويرات تسير تدريجياً بصورة طبيعية.

3- بناء سد الشطرة:

ومما تجدر الإشارة إليه ان اكبر الأعمال العمرانية التي قام بها هيسم في المدينة عام 1918، هو بناء سد الشطرة الذي بوشر العمل فيه في شهر حزيران، الذي تم انجازه بمدة زمنية قصيرة. وقد ذكر معاون الضابط السياسي في الشطرة في تقرير له:" ان الشطرة تقع على الجانب الأيمن من النهر، لذا كنت مرغماً على بناء السد على الضفتين استناداً إلى ان النهر يكون جافاً بستة اشهر من السنة، ويحتوي السد على خمس بوابات وأربعة أبراج. وفوق البوابات يوجد حرس نهاراً وليلاً. في حين تكون الأبراج مشغولة من قبل الشرطة في الليل فقط. ان السد هو سد جيد ومنيع ويتحمل عدة غارات عشائرية في حالة حدوثها. ان تأثير هذا السد كان جيداً على عدة مستويات؛ ولهذ فان الممتلكات الثابتة ارتفعت قيمتها بنسبة 300-400٪"[188].

4- دائرة البريد المدني ومكتب التلغراف:

لقد اهتم البريطانيون بهذه الدائرتين، ففي عهد هيسم الحاكم البريطاني للشطرة تم فتح مكتب بريد وتلغراف فيها حوالي منتصف تشرين الأول عام 1918. وتم تنظيم نقل بريدي خدمي لمدة ثلاثة أيام في الأسبوع بين الشطرة والناصرية أولاً ثم بين الشطرة وقلعة سكر، ويتم نقل البريد بواسطة كتيبة خيالة المنتفق (الشبانة). وفي حالة هطول الأمطار والتقلبات الجوية يكون من الصعب وصول البريد حسب المواعيد، لكن الترتيبات البريدية تعمل بشكل جيد وطبيعي. إن هذا المكتب يبرر وجوده من خلال ما يقدمه من خدمة كبيرة، ولقد قام مفتش البريد بزيارة المكتب قبل مدة قصيرة، وقد كان راضياً عن كفاءته العالية كما يذكر هيسم ذلك[189].

([187])حسين الشعرباف، الشطرة في الاحتلالين، ص58.

([188]) "Reports of Administration , 1918" ,P.381.

([189])Ibid.,P.386.

وفي هذا الصدد ذكرت جريدة الأوقات البصرية ان الحكومة البريطانية قامت بتأسيس دائرة البريد في الشطرة[190]. ويذكر الشعرباف ايضاً في هذا المجال بان هيسم ربط المدينة بالمواصلات السلكية[191].

5- شبكة تجهيز المياه:

كما كانت هناك مشكلة أخرى واجهت الإدارة الجديدة في الشطرة، إلا وهي مشكلة تجهيز المياه، وقد كتب هيسم عن هذه المشكلة بـ" انها كانت أصعب مشكلة لدينا لأن النهر يكون جافاً لمدة ستة أشهر في السنة، وخلال هذه المدة يجب حفر آبار في قاع النهر للحصول على الماء"[192]. وفضلاً عن ذلك فان التربة المحفورة هي تربة رملية وحال حفر البئر وخلال مدة قصيرة تنهار جدران البئر، فلذلك كانت تجري عمليات تنظيف الآبار وإخراج الرمال منها يومياً[193]. واستطرد هيسم في تقريره عن تجهيز المياه في الشطرة إذ ذكر" بقرب الانتهاء من مشروع الري فمن المؤمل ان تتمتع الشطرة بالماء لمعظم ايام السنة. لكن مالم يكن هناك جريان دائمي ومستمر للماء في النهر فسوف تكون هناك صعوبة قائمة بتجهيز الماء، وقد قمتُ بالتحدث إلى ضابط الري بالموضوع، وسوف يتم دراسة المسألة بشكل دقيق حال الانتهاء من أعمال الري. ومن الممكن أيضا الحصول على الماء من نهر الغراف بواسطة أنابيب، لكن حتى تتضح سياسة الري للبلد وتستقر فانه لا يمكن عمل الكثير"[194].

([190])الأوقات البصرية، العدد (192)، السنة السادسة، الجمعة 26 ذو القعدة 1337هـ المصادف 22 آب 1919، ص3.

([191])حسين الشعرباف، الشطرة في الاحتلالين، ص58.

([192]) "Reports of Administration , 1918" ,P.386.

([193]) Ibid.

([194]) Ibid.

ولاحظنا في احد مذكرات أهالي الشطرة بان الكابتن هيسم قام بتطهير جنوب نهر الغراف من الطمى الراكدة في قعره. ويُعد هذا العمل هو خاتمة أعمال هيسم في المدينة[195].

6- التعليم:

وهناك جانب آخر من الجوانب الخدمية والإدارية التي شملها بعض الشيء من الأعمار من قبل الإدارة البريطانية هو التعليم. ومن الجدير بالذكر ان ننوه بهذا الصدد بان التعليم البدائي الذي ظهر في العهد العثماني كان على شكل مدارس ملائية في هذه المنطقة، قد استمر حتى وقت الاحتلال البريطاني للعراق، ومع ذلك أشار هيسم عن هذا الجانب في الشطرة فقد ذكر:" لقد قمت بطلب موافقة رسمية لتحويلها إلى مدرسة حكومية وتم إبلاغي بأنني استطيع عمل ذلك بشرط ان نتبع السياسة اللادينية بشكل حازم. وكبديل لذلك كان من المقترح ان تفتح مدرسة جديدة تماشياً مع هذه السياسة. وهذا لم اوافق عليه أولاً لأن أساس التعليم كان تعليم القرآن وكان من المستحيل العمل على التغيير الكبير بحركة واحدة. وثانياً إنني اعد فتح مدرسة لا دينية تبدو وكأنها واقعياً مناوئاً ومضادة لمدرسة إسلامية حركة غير سياسية. وان هذا العمل في مدينة كبيرة ومتنوعة الأديان يبدو عملاً جيداً، لكن ليس في مدينة صغيرة 90٪ سكانها من الشيعة. وعلى الرغم من ذلك فان مدير التعليم وضع سياسة جديدة، وقد تمكنت من استلام المدرسة، كما قام مدير التعليم بزيارة إلى الشطرة وكان راضياً عن التفتيش، ووجد ان مستوى الطلبة هو نفس المستوى العام، إذ ان عدد الطلبة المسجلين هو (150)، لكن الحضور اليومي لهم كان (60) طالب فقط. وأأمل أن أرسل قريباً إلى بغداد اثنين من العراقيين ليدخلوا دورة تدريبية في كلية بغداد لتهيئة مدرسين. كما لا ينظر إلى مهنة التدريس نظرة جيدة من قبل العرب المتنفذين"[196].

ويذكر الهلالي في هذا الصدد بان البريطانيين أسسوا مدرسة في مدينة الشطرة في عام 1918[197]. ويبدو انها المدرسة الوحيدة التي أسسها البريطانيون في الشطرة.

([195])حسين الشعرباف، الشطرة في الاحتلالين،ص58.

([196]) "Reports of Administration , 1918" ,P.387.

([197])عبد الرزاق الهلالي، التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني، ج2،بغداد، 1975، ص91.

7- الصحة: اما من الناحية الطبية والصحية فقد ذكر هيسم في تقريره عن الشطرة خلال عام 1918: بـ " انه طلبت جراح مساعد ليقوم بفتح مستوصف مدني في الشطرة، لكن هناك أزمة شديدة في الرجال المدربين صحياً، بحيث انه إلى حد كتابه هذه السطور لايوجد جرح مساعد ولا مستوصف. قبل حول شهرين تم إرسال مضمد لقاحات إلى الناصرية، وهو مدرب بشكل جيد. وقد رجع إلى الشطرة وباشر عمله. واقترحت بأنه يمكن ان يؤدي الكثير من الأعمال الطبية بطريقة بسيطة، وتم إعطائه حقيبة أدوية، وان المرضى سوف يدفعون بسرور قيمة أي دواء يستلمونه. ولو توفر مستقبلاً في أي وقت طبيب مساعد جراح، فأنني بدون شك لن أنسى احتياجات الشطرة، إضافة إلى تقليل المعاناة هو القيمة السياسية للمستوصف المدني وهي معرفة جيدا "[198].

ومن الجدير بالذكر انه خلال عام 1918 وفي ايام هذا الحاكم البريطاني , فقد ذكر تقرير الإدارة البريطانية في الشطرة بـ" انه لم يمض وقت طويل حتى حل وباء الأنفلونزا، ولقد حدثت (20) وفاة ضمن عشيرة خفاجة و (30) وفاة ضمن عشيرة آلبو سعد في اليوم الواحد. وهذا طبيعيا جعل هؤلاء الرجال لا يخافون ما سوفه يحدث لهم"[199]. ويذكر كوتلوف بهذا الصدد بأن أمر الطاعون والكوليرا والتيفوئيد وغيرها من الأمراض انتشرت نتيجة الجوع والفقر[200].

8- الأوقاف:

اما الأوقاف في مدينة الشطرة فأنها تبدو بشكل استثنائي خالية من ممتلكات الأوقاف، وبدون شك فأن الأوقات العصيبة التي مرت بالشطرة جعلت اكتساب او امتلاك العقارات صعب جدا وأسهل منه هو تركها[201]، إلا انه توجد ثلاثة جوامع في مدينة الشطرة حتى عام 1917[202].

([198]) "Reports of Administration , 1918" ,P.387.

([199])Ibid, P.388.

([200])كوتلوف، المصدر السابق، ص112-114.

([201]("Reports of Administration , 1918" ,P.387.

9- الري: كان للري نصيب وافر من اهتمام السلطات البريطانية به ويُعَد مشروع الري من بين المشاريع المهمة التي قامت بها السلطات البريطانية في المدينة. فعملت الإدارة البريطانية على المباشرة بتنفيذ مشروع ري واحد كبير. ولسنين كثيرة مضت كان ماء نهر الغراف الفائض يجري عمليا ويصب في هور (الحمار) ويضيع بدون فائدة، وهناك نسبة معينة من الماء وجدت طريقها إلى هور (الصديفة) وهو (ابو العجول) واستعملت في زراعة الرز، لكن معظم كمية الماء ذهبت إلى سلسلة البحيرات بين الغراف وهور (الحمار). ان نتيجة ذلك كانت سنة بعد سنة، كما ان نهر البدعة نما وزاد تدريجيا، في حين ان نهر الشطرة اخذ بالتغرين تدريجيا. وتابعت السلطات البريطانية بأنه إذا لم يتخذ أي إجراء لتصحيح هذه الحالة فسوف لن يكون في الشطرة أي نهر نهائيا، وتموت المدينة اوتوماتيكيا او تصبح مدينة صحراوية مثل (الخميسية) او (الزبير). ان هذه المسألة تُعَد ثانوية مقارنة مع إرواء أراضي منطقة خفاجة وآل ابراهيم وآل ازيرج. فقد كانت هذه العشائر في حالة مزدهرة جدا ولو تم ايلاء كل قنوات الري المتروكة والموجودة في مناطق وجود هذه العشائر اهتماما كافيا، لكان محصول الشتاء لعام 1918 كبيرا. فالغاية الرئيسة من مشروع الري هو إعادة هذه المناطق إلى سابق عهدها المزدهر. وعلى هذا الأساس تم وضع ضفاف لنهر البدعة، كما تم عمل (4) فروع لتنظيم كمية المياه المجهزة إلى العشائر الموجودة في مصب نهر البدعة. وهذه العشائر هي العبودة وبني زيد وبني سعيد وتم عمل قنوات وممرات مختصره معينة لزيادة سعة نهر الشطرة، وبسبب عدم انجاز الأعمال الإروائية لم تفتح أية كمية من الماء إلى نهر الشطرة. ومن المؤمل ان يقوم الماء إلى حد ما بالجريان وتنظيف قاع النهر بسرعة، وعندما تمت المباشرة بأعمال المشروع في نهاية شهر آب عام 1918، كان من المؤمل ان يكون ممكنا تنظيف قاع النهر إلى حد منطقة السويج. لكن هذا كان غير ممكن بسبب صعوبات العمل، وان المفردات المهمة للمشروع تم تنفيذها، إذ تم رصف ضفاف البدعة وعمل أربعة فروع وخمسة ممرات طويلة مختصره تم حفرها أيضا، وبالتالي سوف لن يصل الماء إلى ال ابراهيم وال ازيرج في عام 1918. وفي الوقت نفسه عملت

([202](F.O. 371 - 3407 X/M 07739 , Report on the Administration of the Military Governorship of Nassiriyah from April Ist, 1916, to March 3lst, 1917 , Revenue Basrah Wilayat , P.20

وهي محفوظة في د. ك.و، موضوعها: وثائق مختلفة عن العراق، تسلسل الملف، 603، ضمن وثائق لندن.

السلطات البريطانية على توسيع المشروع، وتنظيف قاع النهر من اجل إيصال الماء الى هاتين العشيرتين في العام القادم[203].ويذكر كوتلوف عن هذا المجال بأن منظومة الري خربت، وأتلفت الحقول في مناطق متعددة نتيجة للعمليات العسكرية [204].

10- الطرق:

تُعَد الطرق من الأمور او الجوانب التي اتخذت حيزا من اهتمام السلطات البريطانية في هذه المنطقة، وكثيرا ما كانت هنالك علاقة للطرق بتنظيم قنوات الري وإقامة السدود والممرات المائية التي تتخلل هذه المنطقة. فقد عملت هذه السلطات قبل نزول مستوى الفيضان في الغراف في آب 1918إلى تسجيل(30)زورقا، وان الدخل المستحصل منها كان(109,8) روبية[205].الا ان بمرور الزمن كان اهتمام السلطات البريطانية بالطرق يسير بصورة تدريجية،
ففي27مايس1920 كتب أمين سر الدخل الحكومي في مكتب الضابط السياسي في الناصرية برقية إلى الجهات المسؤولة عن الاهتمام بالطريق الواصل بين الشطرة والناصرية، والشطرة والبدعة الذي يُعَد ملتقى طرق رئيسة وأيضاً الشطرة وقلعة سكر[206].كما طالب مكتب البريد في الناصرية في 23 حزيران 1920رئيس المهندسين وسكرتيره في بغداد عن تقديم تقرير عن حالة الطرق في هذه المنطقة،لأن مستوى الفيضان يرتفع فيها خاصةً في أواخر شهر مايس، وفي بداية حزيران ان مساعد الضابط السياسي للشطرة خصص خمسة ألواح لبناء جسر داخل المدينة. وان (40) ألف روبية صرفت على تلك المشاريع وخصص ما يقارب (30) ألف روبية على رصف الطريق الواصل بين الشطرة وقلعة سكر لوحدة؛ لأنه الأطول والأبعد والأصعب[207].

([203]"Reports of Administration , 1918" ,P.385.

([204]) كوتلوف، المصدر السابق، ص ص106-107.

([205]"Reports of Administration , 1918" ,P.385.

([206]) د.ك.و. الوحدة الوثائقية، ملفات الاحتلال البريطاني، تسلسل الملفة: 2/892، رقم الملفة: 85، موضوع الملفة: الطرق والجسور- الناصرية، فتحت بتاريخ 1920/5/17 واغلقت بتاريخ 1920/8/7، و1،ص1.

([207]) المصدر نفسه، و4،ص4،و4،ص5.

11- أعمال السخرة: في ضوء السياسة التي اتبعتها الإدارة البريطانية في العراق نلاحظ الكثير من الأعمال التي قام بها الحكام البريطانيين في مناطق حكمهم وهي أعمال غريبة او جديدة على المجتمع العراقي كأعمال السخرة(أي العمل في المشاريع التي تديرها الإدارة البريطانية مجاناً). ونستعين في ضوء كلامنا هذا على التقرير المرفوع من قبل هيسم الذي يذكر فيه بـ" ان توفير العمال للأعمال المتنوعة كان أصعب عمل هنا في هذه المنطقة، وقد تم الطلب مني ان أجهز العمال لمشروع الري ولمشروع السكك الحديد في السايح. ولقد كان الموسم السابق صعب جداً بشكل استثنائي في الحصول على العمالة"[208].إلا انه في الوقت نفسه كانت تواجه الحكام البريطانيين بعض الصعوبات في جمع الايدي العاملة للعمل في المشاريع التي يقوم بها الحكام السياسيين، وذكر الحاكم هيسم في تقريره الرسمي بعض الحقائق عن هذه الصعوبات عندما " كان العمل جارياً في مشروع الري جاءت مفاجئة السايح. إذ تم طلب (500) عامل كولي (عامل غير ماهر) إلى السايح ولقد تم عرض هذا الأمر على شيوخ العشائر الذين رفضوا رفضاً قاطعا إرسال رجالهم إلى السائح ". ويتساءل هيسم في سطور أخرى من تقريره هذا " هل ان عشائر المنتفق ينظر اليها على انهم (كوليين) عاديين يؤمرون للعمل بعيداً عن بيوتهم ؟ "[209] لقد كان هذا هو الشعور السائد عند الساسة البريطانيين عن عشائر المنتفق، وكانوا يُعدون ان مجرد إرسالهم إلى المشاريع التي يقومون بها نصرا كبيرا لهم. إلا ان هذا الأمر لم يثنِ الحكام البريطانيين من ممارسة الأعمال الإجبارية. واخذوا بعض الفلاحين من ابناء مدينة الشطرة للعمل في السايح، وحصلت اثناء ذلك بعض الوفيات من عشائر خفاجة وآلبو سعد[210]. ويذكر توماس عن أعمال السخرة بـ " بان نقل رجل القبيلة المتوسط المتفرد في تلك البقعة المزمنة عاجز عن تجاوز متعته وحاضره. وبالنسبة له كان شيئا مزعجاً ان ندعوه للعمل بالرغم من إننا ندفع له أجره. انه ليس بالعمل الذي يضجره، لكنه يستلزم غيابه عن القرية، البعد ولو لثلاثة أيام في كل مرة، لكنه لايعير حتى يذهب من اجل سواد عيون زوجته". وأضاف توماس بـ" ان العمل الإجباري ضروري لمثل هذه المشاريع التطويرية، بالإضافة إلى انه تشذيب وإبعاد للميزات

([208])"Reports of Administration , 1918" ,P.388.

([209]) Ibid.

([210](Ibid.

الرديئة لمخلفات الإدارة العثمانية مثل الكسل والانكماش والحماقة، والأسوأ من ذلك الظلم الذي تقود له هذه المميزات، بالإضافة إلى ما تولده من توتر عند السلطة المحلية"[211].

وأثناء العمل في السايح يذكر التقرير الذي كتبه هيسم حاكم الشطرة بـ "ان الضربة الأخيرة جاءت وهي كمية وفيرة من الأمطار المبكرة. وان هذه الفرصة جيدة جدا ولا يضيعها العمال لغرض الزراعة. ان مثل هذه الأمطار المبكرة تأتي نادراً وبدأ العمال بالتسلل تدريجيا وانشغلوا بزراعتهم"[212]. وعن هذه المشاريع التي قام بها البريطانيون في المنطقة فيذكر توماس بـ "ان عملية مشاريع البناء كانت أسهل لنا لتحديد نزاهة أهدافنا أكثر مما كان العثمانيون يعملون... عملنا كان يختلف تماماً عن النظام العثماني، فنحن نأخذ بيد ونعطي باليد الاخرى، مشاريع العلم وخطوط الإنتاج محسوبة لخير البلد، دوائر بريد وبرق عمومية، خدمات هاتف، طرق والمدرسة والمستوصف كانت ثمرة جهدنا في الشطرة بهذا التاريخ واعمال عامة مهمة كمشاريع الري التي كانت تحت اليد" [213]. كما استخدمت القوة ضد من يرفض الخدمة في أعمال السخرة[214]. وقد أكد لي هذه الحقائق بعض أهالي الشطرة من الذين أدركوا ذلك العهد ذاكرين لنا بـ " ان من بين المشاريع التي قام بها البريطانيون في الشطرة، انهم قاموا بعملية كري لنهرها، وأقاموا سداً ترابياً في البدعة، وكذلك سداً ترابياً للنهر، وكانت هذه الأعمال تنفذ عن طريق السخرة"[215].

12- الألعاب الرياضية: من بين الأعمال الرياضية والمسلية التي قام بها البريطانيون في لواء المنتفق هو سباق الخيل، فقد جرى خلال حكم بريكلي الحاكم البريطاني للشطرة سباق للخيل في مدينة الناصرية في يوم الأربعاء 26 تشرين الثاني عام 1919، وأقيم هذا السباق تحت رعاية

([211])مذكرات برترام توماس في العراق، ص126.

([212]"Reports of Administration , 1918" ,P.388.)

([213])مذكرات برترام توماس في العراق، ص ص125-126.

([214])كوتلوف، مصدر سابق، ص106.

([215]) مقابلة شخصية مع الأستاذ مكي السيد جاسم بتاريخ1988/11/26؛ مقابلة شخصية مع السيد محسن تالي الزيدي بتاريخ 1988/8/30.

الحاكم السياسي في لواء المنتفق الميجر ديجبرن، وقد حضر السباق مشايخ ورؤوساء عشائر المنتفق وعددهم (250) شيخ. كما حضر أشراف ووجهاء مدينة الناصرية، وكذلك الحكام السياسيون لكل من الناصرية وحاكم سوق الشيوخ وحاكم الشطرة وحاكم قلعة سكر وقومندان سوارية المنتفق. وبدأ السباق في الساعة الواحدة والربع ظهراً واستمر حتى الساعة الرابعة والربع من مساء ذلك اليوم. واشترك عدداً من فرسان أهالي الشطرة في هذا السباق، وحقق هؤلاء الفرسان المراتب العالية فيه، فقد فاز في قصب السبق في السباق الأول علي جلبي وحصل على (120) روبية، وحصل محمد العبد على (30) روبية من المرتبة الثالثة بعد سالم الخيون الذي حصل على (60)روبية من قضاء سوق الشيوخ[216]. اما الحائزون على قصب السبق في السباق الثاني فهم[217]:

الأول: سليمان العلي (120) روبية من الشطرة.

الثاني: بجاي (آل سفيح) (60) روبية من الشطرة.

الثالث: عبدالله البطي (30) روبية من الناصرية.

وجرى السباق الثالث وفاز كل من:

الأول: موشنه (500) روبية من الشطرة.

الثاني: عبد العالي آل عطية (150) روبية من الشطرة.

الثالث: خماس البطن (50) روبية من الناصرية.

اما الحائزون على قصب السبق في السباق الرابع فهم:

الأول: صالح جاويش (120) روبية من سواري المنتفق.

الثاني:عبدالامير (60) روبية من سواري المنتفق.

([216])جريدة الأوقات البصرية، العدد (279)، السنة السادسة الثلاثاء 9 ربيع الأول سنة 1328هـ، 2كانون الأول 1919، ص2.

([217])المصدر نفسه، ص3.

الثالث عبدالحسين جاويش (30) روبية من سواري المنتفق.

وبدأ السباق الخامس وفاز فيه خيالة مدينة الناصرية وهم:

الأول: عليوي آل مطشر (120) روبية.

الثاني: انالات بن دلوتر (60) روبية.

الثالث: خليف بن دوخي(30)روبية.

وكان السباق السادس هو خاتمة هذا السباق والحائزون على قصب السبق فيه هم:

الأول: صالح حسني (120)روبية من قضاء قلعة سكر.

الثاني: طه ال زيارة (60) روبية من قضاء الشطرة.

الثالث: شنين بن جابر (30) روبية من الناصرية.

خاتمة البحث:

لقد واجه البريطانيون تركة إدارية عثمانية ثقيلة ومنهارة، فحاولوا إعادة تشكيلها بما يتوافق ومتطلبات أهدافهم العسكرية. واشتمل ذلك على دوائر المالية والأوقاف والواردات والأمور الطبية والتعليم. وانسجاماً مع هذه الإجراءات، اتبع البريطانيون في بادئ الأمر، نهجاً إدارياً يتماشى وخبرتهم المعمول بها في الهند، ولتنفيذ تلك الإجراءات استقدم البريطانيون عدداً من السياسيين الإداريين، مع انهم حاولوا استقطاب العناصر الإدارية المحلية، إذ إنهم حصروا تلك المناصب الإدارية الأساسية لهم وتركوا للعناصر المحلية تلك المناصب الثانوية.

ان السياسة التي اتبعتها الإدارة البريطانية مع شيوخ عشائر الشطرة مرت بثلاث مراحل: الأولى كانت تولية الشيوخ في منطقة اتحاد المنتفق كمدراء في مناطقهم العشائرية مثل عبدالكريم الحمداني معاون مساعد الحاكم السياسي البريطاني في الشطرة وطاهر آل زيارة مديراً لناحية سويج الدچة وإبراهيم البعاج مديراً لناحية الدواية. والثانية كانت تتجلى في تعيين وكلاء الحكومة تؤيدهم قوات الشبانة، كالشيخ صكبان آل علي. اما الثالثة فتمثلت في اخذ السلطة من أيدي الشيوخ وتركيزها بأيدي الحكام السياسيين ومساعديهم من البريطانيين، وتكوين (المجالس العشائرية) المؤلفة من شيوخ العشائر لخدمة الحكام السياسيين. وعلى الرغم من الخدمات التي

قدمها الشيوخ المنتمين إلى ملاك الإدارة البريطانية أو المتعاونين مع هذا الملاك، فأن الحكام السياسيين لم يثقوا بهم وكانوا موضع شكهم في اغلب الأحيان وخاصةً الشيخ خيون آل عبيد.

وفي السياسة الاقتصادية فقد أناطت الإدارة البريطانية المحتلة بشيوخ العشائر مهمة جمع الضرائب وزودتهم بالسلاح لهذا الغرض. كما فوضت لهم الأراضي التي كانت تتصرف بها العشائر، مما أدى إلى حرمان كافة أفراد العشائر، فتحولت العلاقة بين الشيخ وأفراد عشيرته من علاقة أبوية إلى علاقة صاحب عمل ومأجورين. وبذلك تركت الإدارة البريطانية الفلاحين من أبناء العشائر في ظروف معاشية قاسية بعد ان انهكتها السلطة البريطانية والمشيخة والسركلة.

كما ان البريطانيين أشاعوا من الناحية الاجتماعية العادات والطقوس العشائرية، عندما وضعوا نظاماً أطلقوا علية (نظام دعاوي العشائر المدنية والجزائية)؛ من اجل تعزيز النظام القبلي، ومن ثم إرساء العلاقات الإقطاعية. وبهذا استهدفوا ترسيخ نفوذ الشيوخ وجعلهم تابعين لتوجيهات الضباط السياسيين على أساس المصالح المتبادلة. لاسيما وان هذا النظام قد أعطى للحكام السياسيين سلطة لتشكيل مجلس عشائري، وهيئات تحكيمية أخرى للفصل في جميع القضايا المتنازع عليها بين أبناء المجتمع.هذا فضلاً عن سوء الخدمات التعليمية والصحية التي كانت تشرف عليها الإدارة البريطانية.